

حوار مع جنية

(قصص)



عصام الصاوى

(حــوار مــع جنيــَة)

أول الكلمات

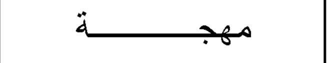
قلت لنفسى إن الإنسان لا يقنع أبدا، ولا يدرك النعمة بين يديه، ويتطلع بعيدا إلى الكل، يحدد سعادته فيما ينقصه، وعندما يصل إليه يزهد ويتطلع ليرى السعادة فى شئ آخر، وربما انتزعها من إنسان غيره.

الكاتب

إهـداء

للجميلــة التى أســرنى ذكاؤهــا.

عصام الصاوى


مهجــــــة

مازلت أذكر ذلك اليوم الذي اكتشفت فيه أن زوجتي تكذب في كلامها وقصصها التي ترويها، كان ذلك منذ زمن. في السنة الأولي من زواجنا، أخبرتني أنها تأخرت في زيارة لأمها، لذا فقد عادت متأخرة ساعة كاملة عن موعدها، ويومها قد أهدتني سلسلة من تلك التي توزعها الشركات هدية للعملاء. ولم أدقق كثيرا في سبب التأخير، ألهاني عن ذلك هديتها المتواضعة. مرت أيام قليلة وزارتنا أمها فظهر من الحديث أن زوجتي عندما تأخرت كانت مع صديقة لها تشتريان ملابس الشتاء، وأصابها وجوم تام، ولم تبرر الموقف، وعلي كل حال فإن ساعة واحدة لم تكن لتستحق عناء التحقيقات.

مرة أخري عندما عادت من السوق، حكت أنها سرقتها سيدة احتكت بها، وافتعلت معها مشاجرة فقدت فيها سوارها الذهبي، واكتشفت بعد مرور شهرين علي الحكاية أنها أخفته جيدا في دولاب ملابسها، ولست أخمن أنها خافت أن أعثر عليه أو أكون عثرت عليه فعلا، فحكت أنها وجدت السوار المفقود. وحمدت الله أنها لم تكن ترتديه عندما تشاجرت.

بعدها تطورت حالة زوجتي، وأصبحت تحكي عن صديقاتها زوجات الآخرين، ثم استقرت عند حكايات صديقتها مهجة تحكي عنها أي شيء، بدأت تنتقد تصرفها عندما تقوم بأعمال النظافة، ثم انتقدت طريقتها في طهي الأطعمة، وانزلقت إلي مكياجها، وملابسها، وشعرها، وتطورت إلي تصرفاتها في العمل، ثم في النادي، ومع الأصدقاء، والجيران، ثم وصلت إلي القمة عندما اتهمتها بالانحراف وأنها تعرفت إلي صديق بدأ يحتل مكانا هاما في حياتي أنا.

عندما نتسامر معا، وحدنا أو وسط الأصدقاء، كان يلفت نظري ونظرها كلمات وأفعال الآخرين، وكنا نشير إلي أن أحدهم يفعل كما تفعل مهجة، ثم اقتصر ذلك علي السيدات وحدهن، فكنا نقول عن تلك السيدة التي تجاوزت الأربعين وصبغت شعرها بالأسود الفاحم بأنها مهجة، وتلك الأخري التي ارتدت بلوزة مفتوحة مفضوحة بأنها مهجة، وتلك التي تبادل الرجل في الركن البعيد نظرات لها معاني بأنها مهجة أيضا.

أنا لم أقابل مهجة أبدا، لا في الشارع ، ولا النادي، ولا هي ضمن مجموعة زملاء زوجتي في عملها، ومعلوماتي لا تتجاوز أنها صديقة الطفولة الأثيرة لدي زوجتي، وأنها تتصل بها تليفونيا من المكتب، وفي بعض الأوقات من البيت، وقد تزورها في العمل أحيانا وكل مقابلاتهما في ما أعرف تتم .

وتملكتني رغبة شديدة في البداية أن أتعرف عليها، ثم هدأت رغبتي بالتدريج حتي انعدمت، وزهدت في أن أراها يوما، واكتفيت بأن أتتبع أخبارها من بعيد، ولكن باهتمام.

قررت مهجة أن تطلق من زوجها بعد أن وطدت علاقتها بصديقها، أتاني هذا الخبر عن طريق قناة المعلومات الخاصة بزوجتي، والتي تبث إرسالها كل ليلة في الفترة من ما بعد العشاء حتي قبل النوم بدقائق، ترسل أخبارها وأخبار الأقارب والجيران وقراءاتها في المجلات، وتظل تثرثر حتي يتسلل النوم إلي عينَّي، فتنهرني لأني لا أحسن الاستماع، فيطير النوم، كان ذلك في الماضي، ثم أصبحت أتلقي امتعاضها من نومي أثناء إرسال المساء ببساطة مبتسما، لأني أدمنت أن أنام مستمعا لصوتها الرتيب الذي يذكرني بحكايات قبل النوم.

خبر طلاق مهجة هذه الليلة أطار النوم من عيني، ففتحتهما مع أذنَّي حتي آخرهما لأسمع الحلقة الأخيرة من مسلسل مهجة.

كان قرار مهجة بالطلاق قرارا محليا خاصا بها، لم يتعد الرغبة في الحصول عليه حتي تنطلق مع حبيب القلب الجديد، الذي لم ترحمه زوجتي من لسانها ووصفته بأنه رجل »خباص خطاف« عينه فارغة كلما أطلت سيرته، وبالتأكيد كانت ترسل استياءها من تصرفات مهجة تليفونيا، وأسمعها تنصحها بأنها سوف تنزلق في طريق خطر، وأنها تضحي بالاستقرار والزواج الهادئ ومصلحة الأولاد، وكانت نصيحة زوجتي لا تأخذ حيزا واسعا في الإرسال، فقد كان عليها أن تستقبل أخبار مغامرات صديقتنا، وكنت أعرف أن زوجتي سوف تحكي لي ما حدث أثناء الفترة المسائية .

ذات ليلة دار الحديث مع زوجتي حول زوج مهجة، وكيف أنه يتصرف في حياتها بطريقة تزعجها، فقد كان بخيلا للغاية، نكديا، يقرأ كثيرا، ولا يبالي بمشاعر واحتياجات زوجته، علاوة علي ثقل دمه الذي لا تحتمله أبدا، واضطرت أن تعاشره سنوات طويلة من أجل الأولاد، لذا فإنها بعد أن كبروا وبدأوا حياتهم، تفكر في الاستقلال، وكادت تقبل القدم لكي يتركها وحالها. المثير في الحكاية أن زوجها يحبها، ولا يطيق فراقها، وأن طلاقها منه في حكم المستحيل. يضاف إلي ذلك أنها تتوقع

مقاومة أولادها لمشروعها الجديد، لذا فكرت في أن تمنح نفسها إجازة طويلة، تـزور فيها أمها تمهيدا لطلب الطلاق بواسطة رجال العائلة، طالما أن زوجها يقف حجر عثرة في طريق سعادتها المنتظرة.

زوجتي انحازت منذ تلك الليلة إلي مهجة، ورأت أن حقها الطبيعي الحصـول علي الطلاق والانطلاق، وصارت تهاجم الرجل وصفاته وأفعاله، وتـدافع كثيـرا عـن مشاعر صديقتها.

بدأ الهجوم مهجة علي زوجها تدعمها زوجتي، ثم تحول تحولا خطيرا، فقـد تغير اتجاه الهجوم ليكون في اتجاهي أنا شخصيا، وبدأت زوجتي تنتقد كل التصـرفات والأفكار، وصارت توجه وتأمر، وصوتها يعلو ، وتنتابهـا حـالات الحـزن، وتنـزوي غاضبة صامتة ساعات طويلة، لتتفجر بعدها لاعنة كل الرجـال، وتـراهم خـائنين لا يراعون مشاعر زوجاتهم، ومثلها الأعلى في هذا الهجوم صديق مهجـة، فهـو أيضـا متزوج بالتأكيد، وانحرف ويستحق اللعنات، لكني متزوج وغير منحـرف ولا أسـتحق لعناتها، فإذا كان من الضروري أن تكون هناك اتهامات ولعنات، فلابد أن أكون منحرفا مثل صاحبنا صديق مهجة، وبدأت أفكر جديا في ذلك، وكانت العقبة الوحيدة أمـامي أن كل السيدات حولي مستقرات محترمات وزوجات لرجال أعرفهم في عملي أو سكني.

مهجة لم تتركني في حالي، فمن خلال لسان زوجتـي الـذي تغيـرت لغتـه ولهجته القديمة، انقلبت كل حياتي. فكرت في أن أدمر هذه اللعينـة التـي أدارت رأس زوجتي حتي تهاجمني بهذه الطريقة، ولكن ليس هناك سبيل للقائها، وعسـكرت إلـي جوار التليفون أياما طويلة، ولكن لم يتصادف أنها طلبت زوجتـي، بـل كنـت أتلقـي مكالمات ينقطع فيها الخط بعد أن يسمع صوتي فيها، وخمنت أنها حـذرتها أنـي قـد أهاجمها.

انحسرت موجة مهجة وسيرتها من منزلي، واحتلت مكانهـا مشـكلتي مـع زوجتي التي بدأت هي الأخري تطلب إجازات زوجية تقضيها عند أمها، وتهمل أولادها وأعمال المنزل، وتتركنا أياما طويلة نعتمد فيها علي أنفسنا، حتي تعودنا، ومللت مـن محاولات الاسترضاء، وبدأت أقتنع بعدالة طلبها في الطلاق، فلم تعد هي التي لا أستغني عنها، ولم أصبح مقنعا لها حتي تتمسك بي، وأصبحت المشكلة الجديدة كيف يتم الطلاق وحضانة الأولاد، وحيازة شقة الزوجية ومستحقات المطلقة، وكيف تتحصـل عليهـا ، وبصراحة لم يكن في جيبي ساعة المناقشة سوي جنيهات قليلة، وحساب البنك ينتظـر وصول مرتب الشهر الجديد، إلا أن الحل الأكيد الذي كان في علم الغيب وعلمها، أنهـا تستطيع تحمل فراق الأولاد والبيت، ويمكنها أن تنتظر أياما وشهورا وسـنوات حكـم

قاضي الأمور الشرعية باستحقاقها النفقة ومستلزماتها، ويمكنها أيضا قبول الحكم بتقسيط المبالغ التي تستحقها، فهي ليست في حاجة للنقود قدر ماهي حريصة علي ألا يضيع حقها مع رجل لا يقدرها.

واستثارت همتي بهجمة أمام الرجال، وعزت علي رجولتي، فألقيت اليمين التي تتمناها في هدوء، وتوجهت للمأذون، وأنهيت الموقف، وأبلغتها باسم الرجل الذي حررها وعنوانه، حتي يمكنها الحصول علي ورقة الطلاق دون احتياج لعسكري يطرق الباب ويهز موقف الأم أمام الأولاد، وحصلت علي مرادها، واستراح أنا وهي وكل الناس.

عندما جلست وحيدا في المساء بعد أن خرج الأولاد، وكان المنزل فارغا من أثاثها وأدواتها، وآثار الزمن مطبوعة علي الجدران وأطراف البلاط، تداعي إلي خاطري حكايات زمان وتأخيرها الكاذب لدي أمها، وسوارها الذي ضاع وحكاياتها عن الآخرين، واكتشفت أن كل ذلك كان كذباً.. الحكايات والتأخير والسوار...

وجدت ضحكة ساخرة تنفلت مني، تضخمت حتي أصبحت قهقهة، وانزلقت من عيني دموع ساخنة، هي مزيج من الحسرة علي غفلتي، والفرح باكتشافي شخصية مهجة هانم.

* * *

ذكراها السنوية

يستدير عزت ويعطي ظهره لغادة، فتصيح مستنكرة "أخذنا إيه من وشك" ولأنه يعرف المثل، يتظاهر أنه لم يسمع ما قالته ويشد اللحاف حتي أذنيه ليتخافت الضجيج الذي يتوقع أن يسببه صياحها، تمرس علي معاركها الليلية، لذلك فهو لا يجيبها ويتركها تطلق لعبارتها العنان، تصول وتجول، تقلب الماضي وحكاياته، وتتداعي الموضوعات من ذاكرتها إلي لسانها بدون توقف، وتظل تعوي وتندب وتنتهي إلي حالة من اثنين: إما أن يهدها الانفعال والكلام، فتهبط وتنام، وتصدر موسيقا شخيرها الليلية التي تعود عليها من سنوات والتي حاول علاجها كثيراً ولم ينجح، وإما أن انفعالها يطير النوم من عينيها، فتصمم علي أن تسحب اللحاف من فوق أذنيه، وتجعله يفيق ويسمع مجبرا، فيضطر إلي أن يجلس مرة أخري ليحاورها في نكدها المزمن، وهو ما يحدث مرات كثيرة، كانت فيها المواجهات الليلية تحسم الموضوعات.

هذه الليلة، خطط لها منذ شهر، عندما سافر واشتري هدية عيد زواجهما السادس عشر، انتقي الهدية من وسط عشرات الدلايات الذهبية، ووجد أن سلة الزهور الملونة الرقيقة مناسبة، لم تكن السلة رخيصة، فهي من الذهب في علبة قطيفة حمراء، ربطها بشريط رقيق وأخفاها جيدا حتي يفاجئها بها، ليراها سعيدة ولو لفترة قصيرة، بعد أن صار التذمر صديقها الدائم.

بعد أن نام الأولاد، فدخل الحمام، وحلق ذقنه جيدا، ومشط شعره، ووضع بعض العطر وارتدي بيجامة مكوية، وبعد أن رضي عن مظهره، أخذ هديته من مخبأها وجعلها في جيبه وانتظرها. دخلت وهي تجفف يدها وتتنهد فقد انتهت من أعمال اليوم. وعندما وجدته في هذه الهيئة توقعت أن يكون هناك شيء لا يحدث كثيرا، إنه يبتسم، وهذا غريب عليها، جلست فوق السرير تمشط شعرها تستعد للنوم عندما قدم لها هديته ومعها تمنيات بعام سعيد، فرفعت حاجبيها في دهشة، وفتحت العلبة منبهرة وصاحت في سرور، ولم تلبث أن تذكرت أنها يجب أن تحافظ علي تقطيبة وجهها معلنة عدم رضاها، فأغلقت العلبة وسألت عن المناسبة ماكرة تدعي النسيان، وحاولت الاعتذار، بمشاكل البيت والأولاد الذين كبروا وكبرت مسئولياتها وهمّها معهم فأنسوها، فتحت العلبة مرة أخري تلتقط هديته الذهبية وتقلبها بين أصابعها وعينيها ثم تضعها فوق صدرها، ثم بدأت تقول...!

لم يصدق ما يسمع، إنها تنتقد الدلاية لأنها من الذهب، ومحلاة بالياقوت الأبيض والأحمر والتوباز، والكهرمان الأصفر والفيروز السماوي، والزفير الكحلي

والأسود فصوص صغيرة، بألوان الزهور، ترسمها في رقة، وفصوص من الماس "الباجيت" تحيط بالسلة كلها، يعيبها وضع الزهور غير المنسق، صغيرة وخفيفة الوزن ضئيلة، فلا تستطيع أن تذكر لصديقاتها أنها هدية عيد زواجها، قالت ذلك ولامته لأنه انتقي هذه الهدية من كل سوق الذهب الذي يزخر بآلاف القطع، وأنه عامدا متعمدا ومع سبق الإصرار والترصد، اشتري سلة الزهور ليغيظها، وهي مغتاظة فعلا لذوقه المتدني، وكان الأولي أن يأخذها معه لتختار، فكل العائلة تلجأ إليها لتساعدهم في الاختيار.

فتح فمه غير مصدق لما يسمع، فلم ير خلال سنواته معهما، أن أي إنسان اعتمد عليها في اختيار، لا في فستان ولا حلويات، ولا حتي كيلو برتقال، سمع وسكت مغلوبا يترجي من الله أن تفرغ طاقتها حتي تسكت، فاستمرت تحكي.

فتح الله عليها بالكلمات، وكأنما كانت تعد بحثا تلقيه في رسالة دكتوراه.. إن هديته تليق بطفلة أو فتاة صغيرة لا تعرف قيمة الأشياء، يخدعها أنه قدم هدية، وأنه كان من الأوفق أن يشتري شيئا ليس فيه كل هذه الألوان، وأنه لو أراد لكان ضاعف قيمة ما دفعه ليشتري شيئا جيداً، وأنها قد أصبحت رخيصة في نظره، ولذا فهو يشتري أي شيء، وأن حظها من يومها نكد، ومن نحسها أن الله رزقها به، وأن أمها وأباها لم يدققا جيدا في الاختيار، وأن حماتها سوف تشمت بها عندما تري تقدير ابنها لزوجته قد انخفض كثيرا... و ... و....

حاول عبثا أن يفند الاتهامات الموجهة أو يتفاداها، وحاول في بعض مرات توقيفها لتتابع التنفس، وجهد أن يغير الموضوع، أو أن يجذب انتباهها لأشياء أخري، وتعمد في بعض المرات أن يتلطف ويتذاكي يجر الكلام الناعم المعسول، دون جدوي. وحاول أن يلمسها ويجذبها إليه، فشدت يدها بقسوة. ونوت أن تسترسل، ولكن الله أنقذه بصياح المؤذن بالفجر، وانتبه إلي أنه مرت ساعات ست في موقفه هذا، في تلك اللحظة قفزت زوجته واقفة واندفعت باتجاه الحمام لتقضي حاجة لها، وانتهز الفرصة متنمرا حتي عادت، فانصرف إلي الحمام يفتح صنبور المياه حتي آخره فوق رأسه، ليهدئ من كل انفعالاته، ثم توضأ ودخل حجرته وبدأ يصلي.

كاد ينهي صلاته ودعاءه إلي الله، والله أعلم بما دعا به، عندما داعبت أذنيه في حنان أصوات موسيقاها تبدأ في الانبعاث علامة بدء نومها، فابتسم راضيا وحمد ربه، وانزلق بنعومة في السرير، يحاذر أن تحس به فتبدأ مرة أخري، وأغمض عينيه في نوم عميق بعد إرهاق السفر ومعاناته في موقعة الذكري السنوية لزواجه.

* * *

جراحة فى عقل امرأة

سلوي مهندسة وصلت لدرجة مدير وأوشكت أن تنال الترقية التالية، بسبب مرضها تخطوها في الترقيات باستمرار، قاربت الخمسين وتحس بالظلم والعسف في حياتها، ظلمها كل الناس منذ كانت صغيرة حتي قاربت المعاش، تعاني الآن ظلم زوجها بعد عشرة السنين، تجلس وحيدة تحاول التفكير في مخرج، أين الخطأ فيها أو في زوجها، أو في أولادها وجيرانها؟

تتذكر يوما تركها زوجها في »الكوشة« بفستان الفرح، والجميع موجودون يستعدون لالتهام الطعام، انطلق خارجا وبحثوا عنه في كل مكان، ساعتان مضتا حتي وجدوه ثائرا غضبان، أخوها كان قد أخذه جانبا، طلب منه توقيع قائمة العروس، رفض وهرب من الفرح، مشكلة، المأذون كتب ، والناس مجتمعون في انتظار العريس، ركبهم الكسوف والحرج، الحل في يدها وانطلقت، فهي تعرف مكانه، ووقفت أمامه، نظرت إليه، النظرة كانت مشوار العمر كله، عرفت ديته، وجم وخاف، احترم شعورها، أعاد تفكيره ثانية، غلطان، أمسك بالقلم ووقع، جلست هذه المرة ورفضت التحرك من مكانها، لابد أن يعتذر عن فعلته، اعتذر بكلمات رفضتها وطلبت أن يكون ذلك أمام كل الناس، أمام أبيه وأمه وأخوته وأقاربه، لابد أن تتسيد الموقف، كاد يقبل القدم ليرضيها، كانت البداية هنا، اكتشفت أنها تستطيع أن تملك الأمور، عليها إذن أن تتصيد الغلطة ثم تحاسب في الوقت المناسب، قالت: صنف ملعون لابد من قهره أولا حتي تستطيع شد اللجام ويستجيب.

مر موقف الفرح كما رسمت له بسرعة، وامتنعت عليه أسبوعا، روضته تماما لربع قرن قادم، لقد عرفت نقطة الضعف. عندما يخطئ يصبح كالتلميذ البليد، لذا كانت كلماتها دائما هي الأولي والمسموعة، والرأي والمشورة لها.

حظها ساقها لتسكن الشقة تحت سلفتها، الصالون فوق الصالة، والمطبخ فوق المطبخ، وحجرة النوم فوق أختها بالضبط، والأصوات تنتقل بسهولة، كل الأصوات، حتي صوت العراك، شقة أخيه هادئة تماما، وشقتها كلها نزاع وأصوات كل يوم، مفضوحة هي، كل حكاياتها معروفة فوق بدون اتصالات، سلفتها دكتورة في الجامعة غاوية مذاكرة وشهادات، وسليم أخو زوجها يحب الموسيقي والقراءة، شقتهم

كالمقبرة، ضوء خافت وموسيقي وهدوء، تصعد سلوي فوق، تتملكها الكتمة، تقول ما فائدة الدكتوراه، ليس لها لزوم، تبتسم الدكتورة وتغير شريط الموسيقي، وتحضر مشروبا باردا، وتلوي الحديث لاتجاه آخر ربما يهمها، أخذتها معها إلي معملها واشترت معها ملابسها، وزارت حماتها وأمها معها، حاولت التقرب منها، الدكتورة حامل، سلوي تأخرت في حملها، الأعصاب تتوتر، أعصاب سلوي وسالم زوجها، الموسيقي والهدوء ومذكرات المعمل، وصوت منبه الصباح في موعده كل يوم. سالم كل يوم في هم جديد، يرتب أوراق دفاعه عن سليم وزوجته، بالإضافة لأوراق دفاعه عن نفسه، الحمل زاد عليه، كان يدافع عن نفسه في مواجهة سلوي، الآن لابد أن يدافع عن أخيه وزوجته أيضا، يدافع عن الهدوء والموسيقي وحمل زوجة أخيه ورسائل الدكتوراه التي يعدونها، منافسة جميلة بين أخيه وزوجته، عليه أيضا أن يرتب الدفاع عنها.

سالم اليوم في كرب، رأته سلوي يحمل ابن أخيه البكر، ويقبله أمام كل الناس، وانعقدت المحكمة حتي الصباح، الدكتورة أحست بغيرة سلوي، نزلت عندها، بكت سلوي لعدم حملها، وطلبت أن تساعدها، أولا تصلي خلفها ثم تشرب من نفس الكوب بعدها، وتدور خلفها حول محمرة البخور وتسمع الأدعية، وطاوعتها وأراحتها، وكلما زادت رغبتها لراحة سلوي كانت تتسلط أكثر، وبدأت تقول وتأمر، الدكتور قفلت بابها واستراحت، صدرت المشكلة لزوجها، عليه أن يتعامل معها ومع وزوجها وحده، فاهتماماتها أرقي وأهم، ناراً أصبحت سلوي، اتهامات وشتائم وجلسات ومحاكمات لسالم وأخيه زوج الدكتورة، متكبرة مغرورة، هي دكتورة وعندها طفل، أنا مهندسة وسيكون عندي، بعدها حملت ثلاث مرات وأصبح عندها ثلاثة : ولدين وبنت، تفوقت، واستراحت من الدكتورة، سنوات مرت ونشاط سلوي لم يتوقف لحظة، التغيير الذي يحسه سالم دائما أنها تنقل بؤرة غلها وحسدها من واحدة لأخري، والعمارة كبيرة، أربع وعشرون شقة، وفي كل شقة امرأة من نوع مختلف، ولها مع سلوي مشكلة جديدة.

هذا لا يعني أنها تتركه في حاله بل هو قاسم مشترك في جميع ما يحدث، كل هؤلاء النساء يطمعن فيه، وكلهن ساقطات يدمِنَّ خيانة الأزواج خاصة مع سالم، حتي زوجة البواب لم تنج من اتهاماتها، أغلق الباب والشبابيك، وترك سيارته خارج الجراج، يرجع من عمله يجلس علي كرسي الاعتراف ، ليقدم مبررات لكل شيء، ويتحمل الإهانات والشتائم والاتهامات، ويسكت من أجل الأولاد، ولا يصعد الحوار والشجار حتي لا يسمع الجيران، مسكينة صوتها عال أعصابها مشدودة، مجهدة من العمل والبيت، والناس كلهم وحوش، جبارون لا يراعون شعور الآخرين، تنازل سالم عن حقه في الطلب والشكوي والمناقشة، هي تحدد وتعطي، تهب وتمنع، وإن أرادت

كان معها حيث تريده في مشوار أو في الشارع أو في غرفة المعيشة، وكما تنازل عن حقه تنازل عن إرادته ورجولته واحترامه لنفسه، أخذت كل ما تنازل عنه، وأصبح حقها، أصبحت الرجل. اختارت مدارس الأولاد، وملابسهم وأصدقاءهم، ومواعيد نومهم وبرامج التليفزيون، وحددت مزاجهم في اللعب والأكل، يرهبونها أيضا، قابلت صاحب المنزل، وكشاف النور والغاز، وحاسبت وجمعت وطرحت، وكل مشوار وكل علاقة لها معركة، والسبب دائما سالم، يتركها للناس تنهشها، لا يحميها، تريد الرجل، حاول أن يكون عدة مرات، نجح في المواقف مع الناس وحلها، وفشل معها دائما، هو عائقها، أصبح كصديق البطل في الأفلام يحكي له البطل همومه ويعتمد عليه، ثم لا ينجح، ويضربه البطل باستمرار، ليكون مهرج الفيلم أيضا فيجذب ضحكات الجمهور، أصبح ملطشة، كل يوم لطشة من غير نوع الأمس حتي أدمن لطشاتها وشطحاتها، المشكلة أن سالم نفسه يرضي بكل شيء من أجل أن يعيش أولاده مع أبيهم وأمهم، الشكل الاجتماعي مهم عنده، لم يحدث طلاق واحد في العائلة منذ قرون، أدمن الصمت والألم والنكد والوحدة داخل المنزل، خارج المنزل تألق، كل الناس أحبوه واحترموه ويلجأون إليه، ممتاز في عمله وأهم شيء أن يعود في موعده، يعود كل يوم ليدخل القوقعة.

يوم الجمعة مشكلة منذ تزوج، قال أن الصلاة لابد أن تكون في المسجد، كل يوم خمس مرات، هذا كثير، منذ صغره صلاة الجمعة مقدسة، حرمت عليه النزول قبل الآذان، ثم ضيقت الوقت حتي يبدأ الإمام الخطبة، ثم بدأ يلحق بالركعة الثانية في نهايتها، عشر دقائق فقط للصلاة منها خمس للطريق، يسلم ويقفز خارجا حتي لا يعطله جار أو صديق، مرة قابل أحد الجيران أمام المنزل بعد الصلاة عطله نصف الساعة، كانت في الشرفة ترتقب، وعندما صعد وجدها لا تسأله، وعندما بدأ يحكي وجدها تعلم كل الحوار، لقد قرأت حركات الشفاه وإيماءات الرءوس والأيدي، ذكية جدا، ماهرة، قرر ألا يحدث أحدا مطلقا أمامها حتي لا يخطئ مرة ويشتكي حياته.

عرفت سلوي أنها غيارة ونكدية، وعرفت أنها مسترجلة، وأدركت كراهية الناس لها، غيرت عملها، بدل سالم الشقة، دنيا جديدة بلا فضائح، وقطعوا العلاقات مع كل الأقارب، تفرغت له، وكانت غلطة، سالم كبر والأولاد كبروا، صحتها تعبت وبدأت تضعف، الأولاد أقوي منها، بدأوا التمرد، الولد الأكبر بعد دخوله الجامعة فهم الدنيا، زار أصدقاء جددا، أصبح له اهتمامات ، لا تعجبه أمه ولا صوتها العالي ولا طريقة لبسها ولا تحكمها، أيضا لا يعجبه أبوه، طيب ضعيف متخاذل في مواجهتها، تمرد الولد الأكبر، شتمته وضربته، دافع عن نفسه، وضربة أخري أعادها إليها في لحظة جنون، تملكتها اللحظة، مجنونة هي الأخري، انهالت عليه ضربا بيديها، استمر الولد في ضربها، انهارت قواها، بهتت، استمر الولد ثم توقف، كانت علقة، تكومت باكية، وقامت متثاقلة تصالحه، تمادت، انكسرت وقبلت رأسه ويده، تركها ومضي دون أن ينطق،

خرج الولد وانفجرت في الأب ولعنت كل ما يتعلق به وصبت غضبها عليه وتحمل سالم، أعجب بابنه، راقب المواقف، يشحن الولد، ويجلس ليرقب، يتلذذ من صوت اللطمات وعويلها، ثم يستعد لتلقي الشتائم واللعنات بعد نزول الولد.

حصلت علي كل شيء المال والجاه والابن والبنت، ثم ولد آخر وسيارة، وشقتين إحداهما بالإسكندرية تقضي كل شهور الصيف بها، وسافرت كثيرا لكل مكان، ودخلت كل النوادي، واشترت كل شيء، أنعم الله عليها من كل صنف ولون، النعمة الناقصة هي الناس، كلهم يكرهونها ويبتعدون حتي أولادها وزوجها، لا تستطيع إلا أن تكون هكذا. تجد دائما السبب لثورتها وتوترها، هرمت قبل الأوان، هاجمتها الأوجاع والآلام، تري نفسها في المرآة أكبر من الأخريات، ماذا يفعلن للاحتفاظ بالحيوية والشباب، السنوات فلتت بسرعة، ترفقت مع الزملاء والجيران، حتي بائع الفاكهة وسايس الجراج، تعجبوا منها وبهتوا للتغيير، احترموها لسنها وزوجها، كلهم شباب، الكبار مشغولون لا يلاحظون، ولا تسمع همسات الإعجاب، ولا معاكسات الرجال، زمن طويل مضي لم تسمع شيئا، حاولت أن تستمع ولا فائدة. هل أصبحت عجوزا لهذه الدرجة؟ هل غير الزمن جمالها وأصبحت دميمة؟ تسولت كلمات الإعجاب والمجاملة، مرة قالتها لها زميلة وأخري قالها الكوافير: أين الرجال؟ إنها لا تجد رجلا واحدا يعجب بها الآن، كلهم ينهون علاقاتهم ومناقشاتهم معها بسرعة دون أن يلتفتوا إليها.

يطول الوقت بعد رجوعها من العمل، الأدوات الحديثة وفرت الوقت في كل شيء، وشغالة أنهت جميع أعمال المنزل في الصباح، الأولاد مشغولون بالمذاكرة، والتليفزيون ممل، وزوجها جالس يدخن سيجارة تلو الأخري في الشرفة، تدور في كل الحجرات والمطبخ والحمام، تشغل نفسها في كل شيء والوقت ثابت، تجر الحديث مع الأولاد ويبترونه فورا، وهكذا كان سالم أيضا، تحاول القراءة وترمي الكتاب، وتقرأ خطوط الفنجان متسلية متململة، والوقت أطول من صبرها، تشاكس سالم، واختلقت موضوعا، وضعت الموضوع أمامه لعله يقول شيئا، قلبت فيه، وطلبت الرأي والمشورة، سألته صراحة. زاهد هو في الموضوع والمناقشة، وزاهد فيها أيضا، حاولت إثارته كرجل، تجاهل ما تفعله، وبمرور الأيام أصبحت ثقيلة علي نفسها، مر أسبوعان والبيت هادئ، كلهم يتجنبون الحوار والشجار في البيت والشارع والعمل، الهدوء يتعبها وصوت الموسيقي الهادئ يثير أعصابها.

ناقشت سالم في أي موضوع، همهم بكلام غير مفهوم اعتبرته إهانة لها، لكزته بكوعها في جنبه، هب واقفا وصفعها، ردت الصفعة، انهال عليها ضربا بكل شيء وقع في يده، كومها باكية تندب، قامت تقذف بالأشياء، سالم هجم وأوسعها هذه المرة ضربا معجزا، وضع كل غله فيها، تخيل لحظة أنه هو نفسه الابن، فعل كما كان

ابنه يضرب الأم المرة السابقة.

متورمة وكدمات زرقاء، منكوشة الشعر باكية، ممزقة الملابس، اقتربت تحاول استرضاءه، هب واقفا، تراجعت خائفة، لأول مرة ارتدي ملابسه دون أن يقدم مبررا، حقيبة صغيرة وسعت ملابسه البسيطة، ذهب إلي الشقة القديمة عاش فيها شهورا وحده، يأتي كلما أراد، يأخذ شيئا أو يعطي الأولاد نقودا، ساقت إليه الناس ومصمم هو ألا تكون، لن يطلقها ولن يعيش معها، أخبار ابنه الكبير تصل إليه، يضرب أمه مرة كل يومين، ينتقم لأبيه وإخوته، ولسنوات حرمان طويلة من العواطف والهدوء، يفعل ما كان يجب منذ زمن.

مرضت سلوي، استلمت السرير وأخذت إجازة من العمل، دموعها كثيرة ضعيفة لا تقدر علي مغادرة الفراش، سالم قاس جدا هذه المرة، حضر ورآها، ابتسم شامتا، شرطه الوحيد ومطلبه أن يأخذوا الجثة بعيدا عن بيته، ولتأخذ معها ما تريد حتي الأولاد لو أرادت.

تجمع الرجال، وافقوه، لم يشترطوا عليه، بل طلبوا المهلة أياما حتي تقف علي قدميها، أولادها شامتون، حتي البنت الصغيرة أيضا حبيبة أمها انحازت، سيعيشون معها حتي الولد الكبير ويده القوية اختار أن يعيش مع أمه.

هؤلاء الملاعين يريدون أن ينفردوا بها ليذيقوها العذاب بعد أن مرضت، كل الناس وحوش، صاغرة ركبت سيارة أخيها، وسيارة أخري خلفها تحمل بعض المتاع إلي شقة صغيرة في أطراف المدينة، سوف ترضي بأي شيء حتي يرضي سالم عنها، هذا المتعنت المغرور لقد كانت تهينه حتي أيام قريبة مضت، أصبح بعد كل هذه السنين فرعونا، تري أنها مظلومة، لقد ترقي زميلها الأحدث وأصبح المدير العام، تخطوها في العمل، وفي البيت لم يعمل حسابها أحد.

لديها كل شيء، الزوج والولد والمال وكل ما طمعت فيه، ملابس عطور وذهب وأساور من الماس وخواتم "سولتير"، أين الناس لتتيه بما لديها، ليس هناك ناس، والأولاد لا يعبأون، وسالم لم ينهها من حياته.

تناولت الدواء، وأطفأت الأنوار بعد أن نام الأولاد، وامتدت يدها تفتح الراديو، وانسابت موسيقي هادئة وانسابت معها أفكارها ودموعها، ولم تثرها الموسيقي هذه المرة

تناولت الدواء، وأطفأت الأنوار بعد أن نام الأولاد، وامتدت يدها تفتح الراديو، وانسابت موسيقي هادئة وانسابت معها أفكارها ودموعها، ولم تثرها الموسيقي هذه المرة.

* * *

لم تعد ماجدة تلك الفتاة الرقيقة بعد مرور السنوات، فقد تزوجت ولم أعد أراها إلا عندما تزور أمها في الشقة المقابلة، أحببتها فقد كانت زميلة ابنتي، جميلة ودودة، وكان لها حضور طيب باستمرار، لم تتوقف عن السؤال عنا بعد أن تزوج أولادي وماتت زوجتي، وزادت فوق زيارتها سؤالها بالتليفون في بعض الأوقات، تسلي وحدتي، وتسألني دائما عما أحتاج.

في الفترة الأخيرة أحسست أنها تكثف زياراتها لأمها، وتزورني، وتبقي لدي فترة طويلة نتبادل فيها الحديث والحكايات، وتطوعت أن تحقنني بالدواء بدلا من نزولي إلي الصيدلية، وداومت علي مواعيد الحقن بانتظام، وعندما كنت أشكر مجهودها كانت تبتسم في خجل ثم تقول إنها لا تفعل الكثير، فهي تعتبرني أبا لها، نظرات ماجدة رأيتها أخيرا حيري حزينة متسائلة، كأنما تحمل هما كبيرا، وشجعتها أن تبدأ فدارت حول الموضوعات حتي قررت..

اعتدلت في جلستها ثم قالت: لي صديقة اسمها بهيجة، كانت علي عكسي تماما، التقينا ونحن صغار، جمع بيننا السكن والمدرسة ثم العمل، ودرنا معا كل عمرنا نكتشف الحياة ونمارسها، كل بطريقته، بهيجة كانت تحب الظهور في كل مجال ومجلس، لا تطيق أن تكون فردا في المجموع، بل تحب أن تتميز بشكل ما، في الطفولة كان لابد أن تكون الأولي علي الفصل، فلما لم تستطع كانت الأخيرة لتصبح متميزة ومثيرة للشفقة والحديث، ثم تتزعم الرأي الرافض لرأي المجموعة، وترتدي الملابس المختلفة غير التي نلبسها وبطريقة أخري، لتلفت النظر. من وجهة نظرها هي متميزة.

في الجامعة بهيجة صادقت أكثر الفتيات دمامة، وأحبت الممثل مارلون براندو وراسلته في وله وصبر عجيب سنوات ولم يرد عليها مرة واحدة، تفعل ذلك لتتباهي، وصدقناها لأننا وجدنا لديها مئات من صوره في المجلات وقد لصقت كثيرا منها علي جدران غرفتها.

أحبت المال كثيرا وسعت إليه من البداية، واختارت زوجا غنيا أحبها ووثق فيها، وترك لها أموره تتصرف فيها، أيضا ترك لها حرية التصرف في أشياء كثيرة

وسعي لرضاها، لا يهدأ إلا عندما ترضي، ساعتها تضحك له الدنيا، أو تضحك بهيجة عليه، وتتحدث عنه كأنه نكتة ساخرة مما تفعله به، أو مما يفعله بنفسه.

عرفت كيف تجعل اليوم يطول لا تعطي وقتا للراحة أبدا، وتظل تدور في كل مكان مع الناس والمجتمعات تعرض نفسها، ربما لتكون عضوة بجمعية أو ناد، ثم طمعت في صورة لها بالصحف، ثم اشتاقت للشاشة الصغيرة، ووظفت مواهبها حتي صادفت مخرجا صغيرا استطاعت إقناعه، ووهبها حلمها الذهبي أن تظهر في التليفزيون ليراها ستون مليونا من المصريين بعد الظهر في لقطات تراها هي متميزة تماما.

ويبدو أنها فقدت اتزانها بعد ظهورها في التليفزيون فقد طلبني زوجها الأستاذ عبد الجواد، يستشيرني بعد أن تورط. اشتكي الرجل وحكي وكلي عجب مع توقعي لما يحدث إلا أن باقي الحكاية التي رواها لم تكن أبدا في الحسبان، قال إنه سمح أن تصور ما أرادت بالبيت، ولكن البداية كانت غير موفقة بالمرة، فإن عمال البرنامج هجموا علي البيت وقلبوه، وبعد ساعة كان المكان أشبه بساحة القتال بعد انتهاء المعركة، وتناثرت علب العصير والزجاجات الفارغة ورماد السجائر وبقاياها فوق كل شيء، لقد دفع المئات حتي يتم ذلك الحدث الجبار، تصوير حلقة لبهيجة وهي تتحدث وتفضي بآرائها للملايين..!

وتنهد عبد الجواد في حسرة واضحة، وقال أذيع البرنامج للأسف، واستخدمت بهيجة الاختراع الحديث الذي صمم أساسا لاستخدامات علوم الفضاء والتكنولوجيا والتعليم، لتسجيل حديثها الفريد، استخدمت الفيديو، ثم استعارت جهازا آخرا من صديقة لها، وطبعت نسخة ثانية من الشريط فور الإذاعة.

قال عبد الجواد، جلست معها أشاهدها علي الشاشة وأسمع صوتها، وأبديت إعجابى، فأعادت الشريط من أوله، وكلما تشاغلت نبهتنى إلى تسريحة شعرها أو إيماءة لها، أو حركة يديها وشفتيها ونظرة عينيها، فأهمهم ببعض الكلمات، حتى شبعت من مشاهدة الشريط يدور متتاليا، لاتكل ولا تهدأ حتى حضر صديق حضر فجأة، توسمت أنه منقذى، إلا أنها اقتنصت الفرصة وأجلسته ليشاهد حلقتها المتميزة، فلما أبدى إعجابه، أدارت الشريط من البداية وتحججت بصديقى لأخرج معه، وعندما عدت وجدت أنها مازالت تستمتع وحدها بمشاهدة نفسها المرة تلو الأخرى، ولم يبق إلا أن تصيح يا حلاوتى يا جمالى وقد ركبتها النرجسية، وتقمصت دور النجمة..! وتركتنى أعد العشاء ثم تناولته وحدى أيضا.

اعتصر عبد الجواد يديه في غيظ، وهو يحكي أنها نقلت التليفزيون والفيديو إلي حجرة النوم، حيث كان الجو باردا وفضلت أن تشاهد حلقتها وهي في السرير تتمتع بالدفء وصورتها أمامها في آن واحد، وأنه ظل يري ويسمع مجبرا حتي سقط جفناه من الملل ونام.

كان اليوم التالي هو الأصعب، فقد دعت المخرج وطاقم التصوير لوليمة حافلة، وفوجئ بها تخبره بالتليفون أنها اضطرت لاستضافتهم، حتي يجهزوا لها حلقة أخري، وصدق ظنها، فما إن تناول المخرج الفاكهة والحلوى وانتفخ كرشه حتي اعترف صراحة بأن شهيته انفتحت لأول مرة من سنوات لطعام زوجته الرائع، الذي يماثل طعمه ما صنعته أمه طوال عمرها كله، واقترح من فوره موعدا بعد أيام لتصوير حلقة.

الحلقة الأولي تكلفت مئات الجنيهات، قال ذلك عبد الجواد، وكانت لشراء القماش وأجرة خياطة الفستان وأجر الكوافير، وثمنا لبعض مساحيق التجميل، الحلقة الثانية بهيجة طلبت ألف جنيه كاملة، لتستعد للتصوير فهي تنوي شراء فستان جاهز، ولا وقت للتفصيل وتنوي استدعاء الكوافير ليظهر شعرها لائقا، إضافة إلي متخصص في طلاء الأظافر ورسم العيون والرموش، وما إلي ذلك علاوة علي ثمن المشروبات والحلويات وخلافه.

قال: عندما تململت، وعدتني أنها ستدبر الألف، علي أن أسددها بعد ذلك، فأنا المستفيد في جميع الحالات من تصوير زوجتي في التليفزيون، أطرق عبد الجواد في أسف واستطرد قائلا ودفعت وتم تصوير الحلقة الثانية في معركة تشبه الحلقة الأولي، زاد عليها أنها أعقبتها بوليمة مختصرة، ضمت سندوتشات اللحوم والدجاج والمشروبات والحلويات أيضا، مضي يومان فقط وأذيعت الحلقة، وطبعا سجلتها علي نفس الشريط، وعادت من جديد تشاهد نفسها باستمرار، وبالتليفون تستدعي كل من كان اسمه في نوتة تليفوناتها ونوتة المنزل أيضا، تدعوهم لتناول الحلويات والمرطبات ومشاهدة حلقتها الفريدة، ثم تعرض عليهم الحلقة الأولي والثانية معا، وتعيدهما مرات وتطلب أن أجلس لأشاهد حركات يديها وطريقة تنفسها ونظرة العين المعبرة..! حتي تمكنت شخصية النجمة من زوجتي وبدأت تعامل الناس وتعاملني كنجمة كبيرة، حتي أنها سألت بائع الفاكهة إن كان رأي البرنامج أمس، فإنها تظهر في التليفزيون، ووعدها الرجل بأن يداوم علي مشاهدة البرنامج، فشجعته وأعطته بقشيشا كبيرا فوق ثمن ما اشترت .

عبد الجواد اشتكي أنه لا ينام جيدا، فإن بهيجة تدير جهاز التليفزيون

والفيديو باستمرار طوال الليل، ويظل يسمعها حتي أصبح يحلم دائما أنه يشاهدها أمامه، ومل ذلك حتي فقد اتزانه .

أضاف الأستاذ عبد الجواد إن »الموضة« دائما حلم كل سيدة، والموضة عند بهيجة أن تضع طرحة فوق رأسها، تدور بها حول وجهها، وارتدت الفساتين الطويلة المقفولة بأكمام واسعة حتي الرسغين، فقد قررت أن ترتدي الحجاب، وحمدنا ذلك جميعا فبعضنا يفعل ذلك تحشما وطاعة، أما هي فلم تلبث إلا أسابيع ورأينا أشياء غريبة تفعلها، فقد اكتشفت أن هناك أزياء كثيرة أكثر مناسبة لجسدها الجميل، وبدأت ترتدي تلك الأشياء، فكانت خليطا بين الحجاب "والموضة زادتها بالمكياج والمانكير"، فأصبحت عجيبة بيننا نناوشها ونعاكسها حتي قالت: إنها حرة تفعل وترتدي ما تشاء، كنت نسيت أنها تفضل أن تكون متميزة بأية طريقة، وسكت أباعد بيني وبين المشاكل، فقد كنت لا أنوي أن أطلق بهيجة لهذه الأفعال، ولكنها تجاوزت الحد خصوصا في مسألة التليفزيون وتكاليفها الباهظة والارتباطات، ثم السهر حتي الصباح، تناجي نفسها تعد للحلقة القادمة الأشياء التي تتمني أن ترتديها أو تفعلها حتي تلفت الأنظار، وتحملت كل ذلك طويلا ثم قررت الانسحاب نهائيا من حياتها حتي أستريح.

قالت ماجدة اسمع الأغرب. توفي زوج جارتنا إخلاص، وتجمع الناس يقدمون العزاء في المساء ، في تلك الليلة حضرت بهيجة لتكون لنا جميعا قنبلة صارخة فقد شدت عيوننا جميعا ثم آذاننا بعد ذلك، ارتدت الملابس السوداء، وكأنما كانت تستعد للعزاء بهذا الفستان الفريد ووضعت كل حليها ومجوهراتها، ثم أضافت فوق كل ذلك »المكياج« الصارخ، كأنما جهزت نفسها للتصوير، وكان ذلك خليقا بها، فتعلقت بها كل العيون تتملى متعجبة ، وعندما هدأت النظرات حولها بعد أن قدمت العزاء جلست إلي جانبي تتصنع بعض الحزن، محافظة علي رسم عينيها تجفف دموعا وهمية لتظهر من بعيد أنها تبكي المرحوم وتشارك.
بدأت حديثها عن حلقتها الأخيرة هامسة، فتطلعت السيدة التي في جواري تلتقط الكلمات لتسأل وتشترك، فأثارت شهية بهيجة للكلام عن حلقاتها، وارتفع صوتها قليلا، فشاركت نسوة أخريات فقد كانت الكراسي متقابلة ، ثم شمل الحديث النسوة الجالسات وأصبحت كعادتها نجمة المكان متميزة تتحدث والكل سامعات متعجبات أو متأففات، إلا زوجة المرحوم فإنها تركت المكان لتكمل بكاءها بعيدا، وسعدت بهيجة، فإن المجال انفتح وانطلقت تتحدث عن نفسها، فرحة مشرقة متألقة، كأنما هي زغرودة تنطلق، وهن جالسات سامعات في انبهار، وبهيجة تزداد فرحة وتألقا تظن أنها استولت علي العيون والأحاسيس والانتباه.

قالت ماجدة : بينما كنت أجلس يوماً في حديقة النادي، رأيتها قادمة وقد

تعلقت بها العيون، ترتدي فستانا أنيقا، وتضع "مكياج" رائعا وقد صففت شعرها توا علاوة علي ما تضعه من حلق وأساور وغوايش، جمعت بين كل الألوان، وأصبحت كالديك الرومي، غندورة منقوشة منفوشة، وسارت متمهلة تلقي نظراتها إلي الجانبين لتري من الذي تعرف عليها ، فهي تتوهم أن الجميع يتابعونها في التليفزيون، وتتصرف علي هذا الأساس، وبينما تسير رأتني جالسة مع محمود زوجي، فقصدتني باسمة كأنها لا تتوقع أن تراني في هذا المكان، وبحركة مسرحية نادت علي مرحبة متوددة، كأنما هي زغرودة تنطلق في الحديقة لتدور الرءوس نحوها تتطلع، وكعادتها في الحديث، استقطبت زوجي ثم استولت عليه وعلي كل اهتمامه، وأصبح كله آذانا صاغية موافقة علي كلماتها، وتحمس لها كثيرا، طلب الليمون والشاي ثم القهوة، واتبع كل ذلك "بالآي كريم"، يجاملها غير مبال بوجودي وأنا أضحك في سري مما يحدث، أتأملها في ألوان الطيف التي تحيط نفسها بها، وتذكرت النقاش الذي قام بدهان شقتي عندما كان يتحدث ويخبرني بين الألوان، شارحا لي جمال كل لون عندما قال "الألوانات" كلها جميلة والمهم أن نختار ما يناسب أثاث الحجرة، ابتسمت فقد كانت بهيجة كلها ألوانات في ملابسها وحركاتها وكلماتها.

ماجدة تنهدت ثم قالت: من الصعب أن أحاول معرفة لماذا دخلت هذا الحبس الغريب؟ عندما أحاول، فإني أتذكر الأحداث التي مرت، لتتداخل في علاقات وحوارات مستمرة متشابكة تتواصل، حتي أجد نفسي وقد مرت أعوام كثيرة من عمري، كانت مع أشخاص لم اختر أيا منهم، صديقتي، وجارتي، وهم أيضا وجدوني بجوارهم، فتعاملوا معي بحب وصراحة أو طمع وأنانية وخصام وعدوانية أحيانا.

لمعت دمعة في عيني ماجدة وهي تقول يبدو أني أخطأت التقدير فقد احتفظت ببهيجة وصداقتها عمرا دون أن أتوقف، ووثقت في محمود الأيام، حتي جمعتنا جلسة النادي، وأعقبتها جلسات أخري، ومكالمات تليفونية، انتهت كلها إلي علاقة خفية بين محمود وبهيجة، تطورت في النهاية إلي طلاقي وزواج بهيجة ومحمود، وانطلقت عندهم هناك »زغرودة ألوانات« تعلن الفرح، وجففت دمعتي موقنة أن الخطأ كله كان من جانبي، فإن بهيجة لم تتغير يوما، كنت أعرف أن زوجي لا يقرب الحرام، فلما اقترب منها تزوجها ولم يخطئ، فقط خان عهده بعد عشرة السنوات وتعوده علي حبي الهادئ ، حتي كان مؤكدا عنده، وأحب أن يجرب فجرب الأخرى، وانتظر النتائج لعله يوما يحس بعد أن تعذبه بحلقاتها الفريدة تعرضها عليه ليل نهار حتي يفزع كزوجها السابق.

حاولت ماجدة أن تبرر المواقف قائلة، خلال مشوار عمرنا لم أحاول ولو مرة واحدة أن ابتعد عن بهيجة، فقد كان فيها شيء يكملني، حاولت أن أكونه ولم استطع

أبدا، كنت أتمني أن أكون نجمة المجموعة ولم أقدر، كانت لها قدراتها ومميزاتها الكثيرة، فهي خفيفة الظل ضحوكة آسرة مسيطرة، تزعمت مواقف كثيرة وحسدتها، ولم يكن في مقدوري أن أفعل ، زاد علي ذلك انطلاقها الذي تمنيته دوما، فظللت في مكاني لتنطلق بدلا مني، وأظل أنا الهادئة الطيبة المطيعة التي تفعل الأشياء بروية وحساب بعد تدقيق ومشورة، حتي يكون كل شيء في مكانه تماما لا يقبل الخطأ أو التغيير، وسارت حياتي كما لو كانت فوق قضيب قطار، وانطبع ذلك علي كل ما أحاط بي من ظروف وناس، وكنت أفخر بذلك دائما، ومدحوني كلهم علي طريقتي بما فيهم محمود الذي قال كثيرا إنه يحبني من أجل ذلك، واستراح لهذه الطريقة وتعود عليها، وتعودت عليه راضية به.

فجأة ابتسمت ماجدة في ثقة دون أن تطرف عيناها، وقامت تنهي الحديث قائلة أنا الآن أحسن حالا، وأكثر استقرار، وأنتظر أن تمر الأيام لأري صدق حدسي ويتأكد، لقد كانوا قصار النظر ولم يروا أبعد من أماكن أقدامهم فاطمأنوا، وحتى يحين الأوان سوف ابتسم أكثر، وأحمد الله علي القناعة والصحة والستر، ورفعت رأسها في قوة وثقة وتنهدت كأنما وضعت عن صدرها حجرا ثقيلا، ومضت في خطوات ثابتة واثقة.

قلت لنفسي إن الإنسان لا يقنع أبدا، ولا يدرك النعمة بين يديه، ويرنو بعيدا إلي الكل، يحدد سعادته فيما ينقصه، وعندما يصل إليه يزهد فيه ويتطلع ليري السعادة في شيء آخر، وربما انتزعها من إنسان غيره.

ورأيت ماجدة وقد وقفت مع نفسها تحاسبها، وتعد أخطاءها. وابتسمت في خجل فقد كنت أظن أني حكيم، ولكنها كانت الأحكم.

* * *

زغــرودة كمـــان

دقات عصا المايسترو فوق حامل النوتة المعدني نبهت الأستاذ أحمد مروان إلي أن يستعد، فرفع الكمان إلي مكانه، وأحكم وضع ذقنه فوقها، في حين اتخذت أصابع يده اليسرى مكانها فوق الأوتار، وثبتت عيناه فوق العصا ليمسك لحظة البدء، ارتفعت العصا وتدفقت الأنغام وهز المايسترو رأسه راضيا، الحفل السنوي الكبير بعد يومين "والبروفات" أصبحت متلاحقة.

كان حلم أحمد مروان أن يصبح العازف الأول، ودائما كان هناك من لا يقدر فنه وآخرون يزيحونه من طريقهم، رغم ذلك لم يتضاءل الحلم، فقط كان ينتظر، يحس أن داخله أنغاما تتصارع تريد أن تنطلق للناس.

يحس كل ليلة بالانقباض والإحباط عندما تطأ قدماه مدخل الحارة التي يقطن بها، كانت ككل الحواري الصغيرة التي يسكنها البسطاء، عامرة بالفقراء الكادحين، ولم يكن ذلك عذرا، فإنه لا يري ناسها من كل الوجوه، فهو يعود مع خيوط الفجر الأولي في حين يبدأ الناس يومهم، فلا يتحد مزاجه معهم، وتصبح مظاهر حياتهم مصدر قلقه وتذمره.. نداءات الباعة ولعب الأطفال وعراكهم لا سيما عندما تبدأ إحداهن الشجار مع جارة لها.

الليلة الكبيرة، والكل علي قدم وساق، المايسترو والعازفون، والإداريون والعمال ، وباقي الفنانين لهم عالم خاص يعيشونه، الكل متألق، واستعد بأحسن ما عنده ليقدمه الليلة، أحمد مروان وحده ربما كان المكتئب الوحيد، فقد مرت عليه ليال كثيرة مثل هذه ولم يحقق شيئا، الليلة زادت همومه ومتاعبه إلي المدى، أقلها ملابسه القديمة التي ضاقت وظهر عليها الزمن حتي إن المايسترو نبهه مرات إليها إذ لم تعد تليق بمستوي الفرقة الكبيرة، وربما تسببت في إبعاده.

يزيد من الملل لامبالاة الناس فهم يلقون الأشياء والمخلفات من الشرفات لتزداد الحارة ضيقا بالأكوام الصغيرة من البقايا لتنبش فيها القطط، وربما انزلقت قدمه أكثر من مرة في الظلام عندما يعود آخر الليل، ولكن رغم ذلك فهم طيبون.

ارتفع الستار وبدأ الحفل وفرقة موسيقية أخري تصاحب المطربين، وتوالت الفقرات، وآن الأوان للفرقة أن تصعد إلي المسرح لتقدم ألحانها الخاصة. المايسترو تحول إلي رجل مجنون، يصيح في الكل ويهتم بكل شيء، المصيبة الآن، عازف الكمان الأول تغيب، الدقائق تمر سريعة، وتوتر كل العازفين فالمقطوعة الجديدة تعتمد عليه، صديقنا كان بعيدا عن الكل، سارحا في ذاته كعادته، مهموم دائما، أفاق ليجد المايسترو واقفا أمامه تماما يرفع النوتة من فوق حاملها ليضع أخري مكانها. في أمر حاسم حازم أمره المايسترو أن يؤدي دور عازف الكمان الأول الذي غاب، ويده تدق بالعصا فوق الحامل في توتر بالغ، وفتح الستار قبل أن يتمالك أحمد مروان نفسه أو يتمالك الموقف، وعزف الافتتاحية مع الفرقة، الآن جاء دوره وحده أمام الناس وكاميرات التليفزيون والملايين الذين يشاهدون.

حانت الفرصة بعد انتظار طويل، أعواما كثيرة تمني أن يكون في هذا الموقف، لكنه كان يجب أن يتقدم العازفين لا أن يجلس مكانه وسطهم. رفع يده ولامس القوس الوتر وشده لأسفل بنعومة وخرج النغم غليظا متهاديا في رهبة يحكي الألم والمعاناة، صادقا يفرغ نفسه من داخله، وتاهت احساساته عن النوتة وعزف وحكي.

سميحة زوجته هذه السمينة الملولة، ناقدة، ساخطة، أو باكية، تندب الحظ والنصيب الرزق القليل "للمزيكاتي" الذي يقضي الليل يدور مع الفرقة يحيي الحفلات ليسعد كل الناس إلا هي، فتظل ساهرة تدور تفعل أي شيء تتسلي حتي وقت النوم، وتنشئ علاقات عديدة مع جاراتها وتخاصمهن وتشاجرهن ثم تقبلهن عند رؤيتهن، وينتهي كل شيء دائما إلي صفاء، والنبي أوصي بسابع جار.

حانت الفرصة بعد انتظار طويل، شهق أحمد مروان نفسا عميقا وأغمض العينين ليصبح وحده تماما هو والقوس والكمان يعزف ويحكي عن البيت القديم الذي يتساند علي ما حوله في الحارة وضجيج الأطفال، وشجار الناس، ونداءات الباعة، ولسان زوجته مع نقوده القليلة. حكي عن حجرته الضيقة، وشباكها الوحيد الذي يستقبل الغبار والذباب والروائح ويسرب همسات جاره عبد الفضيل ليلا لزوجته وهي تتمنع عليه.

الاحتياجات، آه من هذه الاحتياجات الكثيرة، فلابد أن يأكلوا كل يوم، وأن

يدفع إيصالات الإيجار والكهرباء والماء وثمن البوتاجاز واشتراك الأتوبيس، كل ذلك يبتلع النقود، ليبقي دائما بدونها ينتظر الرزق.

طفلته الصغيرة، نور ، الأمل الجديد. ابتسم ونشط القوس في يده مرحا يحكي الأمل في عيون الصغيرة، وأمله أن يرتاح ليحقق لها حياة سعيدة ويراها تبتسم وسنتها الأولي تظهر، ترفس الهواء بقدميها، تحاول أن تلمس وجهه بيدين صغيرتين، لابد أن الله سوف يرزقه بولد آخر، ولكن ذلك سوف يكلفه الكثير.

قدرة الله غير محدودة، وسوف يهب له الرزق، ويعلم ما يعانيه يعرف أن بعد العسر اليسر، وينتظر. قطَّب وزفر الهواء حارا يدعو الله أن يفرجها ليحقق بعض السعادة، فتهادت نغمة في وقار وخشوع ودعاء وسجود.

أفاق أحمد مروان علي تصفيق الناس وهتافهم فنظر للمايسترو ورآه يبتسم، واستمر يعزف مذهولا مما يفعله الناس أمامه، فقد صمتوا جميعا كأنما يصلون، يريدون موسيقاه، وارتفعت يده بالقوس تبعث أنغاما ملائكية رقيقة تمايل معها الناس في سعادة، وانطلقت نغمات الكمان كأنما هي زغرودة فوق الرءوس فرحة باسمة، تحكي الأمل والانطلاق والبهجة، وعزف كما لم يعزف من قبل.

* * *

المنشـــار

هل تدري كيف يبدو الرجل بعد الخمسين ، وكيف يرتب أفكاره وحياته للمستقبل، وما أحلامه التي حققها والأخرى التي يتمناها؟ صديقي حسين قال هذه الافتتاحية، فعرفت أنه قرر إطلاق إحدى شحناته المكبوتة. كعادتي أسمعه يحكي، وينتهي وينصرف إلي بيته بعد أن يفرغ لدي مشكلته، أشاركه فيها فيستريح قليلا، سوف أفكر فيما قال ، ثم نتناقش معا بعد ذلك. يستريح لي حسين، وأنا أيضا. شجعته أن يقول فنظرت مهتما، وتوجهت إليه أنصت وهو يحكي.

قال أن هناك رجلا يعرفه من زمن طويل عاصره كل عمره، هذا الرجل تزوج امرأة صالحة، اتسم بالتقوى ورزقه الله بالصحة والاستقرار، بدون اتفاق كانا شيئا واحدا، فكلما كسب أحدهما مبلغا وضعه في مكان النقود، ليأتي الآخر ويضيف إليه ما حصل عليه، وعندما كانا يحتاجان إلي شيء يتفقان عليه أو لا يتفقان، فيمد يده يأخذ ويشتري ويضع باقي النقود مكانها. هي أيضا كانت تفعل ذلك حتي مرت السنوات وزادت احتياجاتهم وأولادهم فكان أن استمرا علي ما هما عليه وبارك الله لهما في الرزق والصحة والرضا التي يتمتعان بها. وهكذا مرت سنواتهم هادئة ناعمة.

ورث الرجل فدانا استمر يرعاه مع بعض أقاربه، يتقاسم معهم الرزق فيه، وبقي علي اتصال بالقرية، فأحبوه واحترموه، أقام الرجل بيتا صغيرا علي جزء من أرضه، واستغرق ذلك سنوات، فكلما توفر المال تقدم خطوة حتي انتهي من البناء، زرت الرجل أمس وقضيت النهار معه، الحق أني لم أتوقف عن الدعاء له ولزوجته أن يبارك الله لهما، فقد رأيت حديقة جميلة فيها أشجار الفاكهة تحتها أصناف الخضروات والزهور، أما بيته المتواضع فقد رأيته قصرا تجد فيه كل ما تحب، وفر فيه الأدوات، صحيح أنها بسيطة وقليلة، لكنك لن تحتاج إلي أكثر مما هو موجود لتقضي بضعة أيام هناك، وهو يخطط لكي يحتوي كل الأدوات حتي يعيش فيه إجازة الصيف كاملة.

زوجته الطيبة بملامحها المطمئنة المستريحة، تقابل كل شيء بالابتسام، الناس، والأحداث، فاهمة صابرة تعرف أن الله قد قدر لها فرضيت، فرضي الله عنها وعن زوجها وأولادها، وأغدق من فيض خيره وحب الناس عليهم ما يكفي لتكون سعادتهما غامرة، لم أتوقف لحظة عن الدعاء لهما بالبركة والخير، وتمتعت بيوم جميل، تصور أنهما كانا يناقشان أمامي مشاكل النقود والأولاد، والأخرى التي تفرض نفسها، وتعجبت جدا أنهما يتناقشان هكذا بهدوء، فكلاهما يعرف المشكلة والحلول، فقط يتحاوران حتي يجدا الأفضل.

هذا الرجل له أخ يشابهه تماما، ليس في الشكل والملامح، وإنما في الطباع وطريقة التفكير، واختلف عنه في الزوجة، فقد تزوج وظن أنها ستكون كأمه وأخته أو بعض أقاربه، ولكن اختياره لم يكن موفقا، ولم يستطع التملص، فقد عاجله القدر

بالأبناء يربطونه إليها. ولما لم يكن الطلاق واردا في فكره وفشلت محاولات الإصلاح، فقد كرس كل جهده ليرضي زوجته حتي يتجنب مضايقاتها، ويكفل لأولاده حياة طبيعية وسط الأسرة والناس، لذا كان عليه أن يتنازل باستمرار، فتنازل في البداية عن أرضه، وهي عبارة عن فدان واحد أيضا، باعه ليشتري سيارة أهلكتها في بضع سنوات، ثم نقوده كان يقدمها كل شهر حتي تشتري الاحتياجات ، وبالطبع استمر يستدين ليلبي طلباتها لا نهاية لها، هكذا ضاع الوقت والمجهود والأرض ومرتبه الشهري، لكن الله كان يرزقه من آن لآخر، فينفق بما يرضي هذه السيدة، ملابس وأدوات وحلي ومجوهرات ورحلات، وكلما أحست أن هناك نقوداً تفعل شيئين، الأولي أن تظهر جزءا من غضبها، ثم تطلب ما تريد، وجاهدا يرضيها، وتتطاير نقود الرجل فتهدأ.

مرت سنواتهم غاضبة عاصفة مفلسة، فقطعت صلاته بالقرية وناسها، ولم يتبق له سوي بعض الأصدقاء والأقارب المحيطين الذين ملوا صحبته فأحس بالوحدة أكثر.

زوجة صديقي تعرف وتحس، أنه عندما يكون بلا مال يصبح خالصا جسما وعقلا ووقتا ومجهودا، فإلي أين ومع من يذهب وهو مفلس، وبالطبع لن يفكر في أي امرأة أخري، وعندما يكون بلا أهل أو أصدقاء، فإنه وحده في مواجهة أفكارها ونزعاتها، لا يجد من يقويه ويدعمه ويفهمه كيف تكون الصلابة، فيمضي مستسلما لقدره، في الوقت نفسه أخوه مستسلم أيضا لقدره، واختلف القدران، وأنا رأيت، وأقارن الآن.

صديقي البائس حاصرته المشاكل، والديون، فكلما أغلق بابا فتحت زوجته أربعة بدلا منها، حتي سقط صريع المرض، ولم ينسه الله، فأفاض عليه الشفاء والقناعة والرضا وقوة التحمل، فحمد الله وشكره فكافأه وأتاح أن يحج بيته، يتعبد ويناجي ويشكر، ويبدو أن الله رأي أن يريح عبده الصابر، فعاد وقد صفا وراق وشف ورأي ألا يعارض مشيئة الله، واستمر يرضي زوجته ويرعي أولاده ويتحملها من أجلهم.

الأخوان كانا يلتقيان لا يعارض أي منهما فكر الآخر وتصرفاته، لا يتدخل أحدهما فيما لا يعنيه، يتشاوران ويفعل كل منهم ما يريد. الزوجتان كانتا تلتقيان، وكل منهما لا تحب الأخري، زوجة الأخ الأكبر عاقلة تري وتفهم ولا تصطدم أبدا ولا تدع للأخرى فرصة لتتدخل، وعندما تفعل فإنها إما أن تنسي بهدوء أو تدع لها زوجها يوقفها عند حدها.

كانت فلسفة زوجة الأخ الأصغر، أن تفعل كل شيء حتي يصبح زوجها قليل الحيلة، مفلسا، بلا أحباب ولا أصدقاء، ورأته في حجمه بعد أن جاوز الخمسين، فلم

تقنع به بعد أن صيرته هكذا، ولم يعد يهمها المال، فقد ضاع كله وامتصت الباقي، وأنهكت صحته فحرص علي زيارات الطبيب ومتابعة العلاج والأدوية، أما روحه وتفكيره فهي تعلم ما يفكر فيه، وصمته أمامها ولا مبالاته، واستسلامه لها وللقدر، فأصبح حديثه غير مطلوب فملته، أما الأولاد فقد كبروا بعدد هذه السنوات يرون ويفهمون ولا يتدخلون، وإذا فعلوا أسكتتهم بطريقتها، إذا هي وحدها علي كل الساحة تكاد تكون بلا رجل ولا أولاد، ومعها بعض المال ومازال بها الرمق، فلم تكبر كثيرا بعد، إذن، فلتنطلق. وانطلقت كما تريد حتي وقعت في المحظور.

ساعتها حان أحد الأجلين بينهما، وكان الطلاق، وطلقها لحال سبيلها، تفعل ما تشاء بعد أن تخلص من مسئوليتها أمام الله والناس، وعندما رحلت لم يتبق للرجل سوي أولاده، يجاهد محاولا أن يكفل لهم حياة متواضعة، ولكن كريمة علي أي حال.

صديقي أحكي لك، لقد زار الأخ الأصغر أخاه أمس لأول مرة فى بيته بالريف، ورأى بيته المتواضع ، رآه قصرا تجد فيه كل ما تحب، وفر فيه الأدوات، صحيح أنها بسيطة وقليلة لكنك لن تحتاج إلى أكثر مما هو موجود لتقضى بضعة أيام فيه.

صديقى: لم يكن الأخ الأصغر سواى أنا أحكى لك الآن ما كنت فيه من أكثر من عشرين عاما، هل أخطأت عندما احتفظت بهذه السيدة طوال السنين من أجل الأولاد؟ أعرف أنه لم يكن لى اختيار.

يبدو لنا أحيانا أننا نختار، ولكن المشيئة قدرت لنا ما نعيش فيه،ولو رجع الزمان فلن يكون سوى ما كان، ولن نقدر على تبديله، درس تلقيته من زوجة أخى، أعرف أن الله قدر لى فأرضى وسوف يرضي عني، وسوف يضفي علي من رحمته وخيره ما يكفي، وأنا قانع، ضاعت السنوات، أما الأرض والمال والوقت والمجهود، فإنها كانت لابد ضائعة فلم أحافظ عليها، ولم أكن قويا، وأستحق ما حدث، ما علينا مما كان.

صديقي حسين كان يحكي ، أما ما حكاه فقد كانت شحنته المكبوتة بعد إطلاقها، حبسها المسكين زمنا ثم أطلقها دون انفعال، بلا صوت، وكعادتي سمعته وانصرف إلي بيته، والمفروض أن أشاركه ليستريح قليلا، مشكلة حسين أنه لا يمكن لأحد أن يشاركه فيها أبدا.

* * *

نصف مجنـونة

اكتشفت سامية فجأة أن ابنها الأكبر أتم تبديل أسنانه الأمامية وقد بدت عريضة، واتخذ وجهه شكل وجه أبيه، وبدأ يقلد معظم حركاته وكلماته، ويخطو نحو الرجولة، أما الأصغر فما زال يبدل أسنانه ويقلد أخاه، والاثنان أصبح لهما أصدقاء في البيت والمدرسة والنادي، ويخرجان معا.

الآن تجلس وحيدة بعد أن خرج الأب للعمل والأولاد للأصدقاء، آه لو كانت لها ابنة تؤنس وحدتها، ربما تعلمت منها أشياء كثيرة، وبدأ شعور الوحدة يغزوها يوما بعد يوم، ولم تفلح محاولاتها في شغل وقتها، ورغم أن أعمال المنزل تستغرق منها وقتا طويلا، فإنها أصبحت تحس الوحدة باستمرار، صممت أن تتخلص من هذا الشعور الكئيب، وبدأت تتدخل في تصرفات وأوقات الأولاد الذين أصبحوا يضيقون بها، واتجهت لزوجها المشغول صباحا في مكتبه ومساء في مقابلات العمل.

ألحت أن تدخل دوائرهم، في كل مرة تكاد تجد ذلك مستحيلا، ثم اكتشفت خطا فوق جبهتها، وثانيا فوق الرقبة واعتبرت ذلك شيئا خطيرا، إنها مازالت صغيرة علي الخطوط الجديدة، بل هناك من هن أكبر منها ليس لديهن تلك الخطوط التي بدت أمامها بشعة، ومن المؤكد أن عادل قد رآها ولابد أنها السبب في انصرافه عنها بحجة العمل والمقابلات، وربما تكون هناك فتاة صغيرة ليس لديها أية تجاعيد.
وبدأت ترقب ويزداد شكها، وركزت اهتمامها علي زوجها ومقابلاته وتليفوناته، تحاول أن تجد بين الكلمات كلمة متوارية تحمل معني بعيدا، ووقفت وحاصرت وحققت مع زوجها عندما يلبس ويعتني بنفسه، ويختار ملابسه أو يحلق ذقنه، أو عندما يتأخر، تحاول أن تكتشف ويهرب منها بنعومة وتلقائية.

تسرب إلي دائرتها كثيرات في النادي والمنزل، اشترتهن بكلماتها ونقودها، كانت سخية حتي يجالسنها يستمعن إليها، أقامت حفلات عيد الميلاد ورحلات وولائم، وقدمت الهدايا لهن ولأولادهن، واتسعت دائرة معارفها وملأت وقتها، وازدادت متطلباتها ومصروفاتها، وزوجها يحقق كل ما تطلب، بل فتح لها حسابا بالبنك، وأعطاها الكثير، يحاول أن يفلت من حصارها ويشتري حريته ، وتتسرب النقود بكل الطرق، ويزداد نهمها ولا تشبع إلا إذا اشترت كل شيء، وأصبح عندها من كل الأشياء أعدادا كبيرة، حتي ضاقت الأدراج والدواليب بالملابس والأدوات، وأعطت منها لكل

الناس، الجارة والبواب والآخرين، وغرقت في علاقات الأصدقاء وذابت في مواعيدهم ومشاكلهم ورحلاتهم، وأخذتها الدوامة ولكن الفكرة التي تؤرقها لم تتركها أبدا، بل زاد شعورها بالوحدة.

زادت اهتمامات عادل بعمله خاصة أنه يتدرج من نجاح إلي آخر، وافتتح مع شركاء مكتبا آخر، وزاد سفره إلي بلاد العالم، وفي كل مرة لا ينسي أن يرجع محملا بالهدايا لزوجته ولديه، حتي فقدت الهدايا بهجتها، وأصبحت عبئا عليه أن يشتريها ، وكان ثقيلا عليهم أن يتقبلوها بعد أن أصبحت نظاما يتبعه دائما، واستفاد الأصدقاء أكثر.

في المكتب الجديد سيدات وآنسات، يعملن في كل التخصصات، ويتصلن به في المنزل، ويرد أو ترد هي، إلي أن كانت المكالمة الأخيرة، كان الصوت مميزا ناعما هادئا، وواثقا، ولم تضيع وقتها، وقفزت إلي هناك، وكانت المفاجأة، وجدتها أجمل الجميلات، ودافع عادل، إنها ماهرة جدا تنهي أعماله وتيسر له المشاكل، وأصرت سامية، وأبعدت الجميلة عن العمل، وأصبح ضمن هواياتها الجديدة أن تزوره في المكتب للتفتيش عن المرأة التي تشغله عنها، وكانت النتيجة عند زيارتها الأخيرة أن وجدت كل السيدات والفتيات، غير جميلات ولكن ماهرات يجدن جميع الأعمال المطلوبة، وتنهدت واستراحت، وقطعت سلسلة الزيارات المفاجئة لمكتب عادل.

أحست بالمغامرة تزحف إليها، كان في الخامسة والعشرين، رأته في حفلة صديقتها وقدمته لها، وتسلل بخفة ونعومة إلي أن أصبح يطلبها بالتليفون يحكي ويسمع، حتي وجدته في قلبها، وأصبحت تطلبه لتسمعه، ولقاء بعد لقاء، أحست بالخطر عندما بدأ الحديث ينزلق في اتجاه واحد، واستطاعت أن تتوقف في الوقت المناسب لتقاوم، ولكن إلي متي؟ أصبح شيئا طبيعيا أن يراها الناس في النادي تجلس إليه، وقد يسألونها عنه في بعض المرات، ولكن إحساسها بالخطر والمقاومة ومحاولة التوقف لم تكن بالقوة التي تصد التيار.

كان اسمه ماجد ذلك الشاب الذي استطاع أن يغزو قلبها، وأن يتسلل داخله بشبابه وحيويته وانطلاقه وضحكاته العالية، واستحوذ عليها. تفاخر بعلاقته وأعلنها لأصدقائه، واستطاع أن يضفي علي الصورة التي يرويها بعض الكلمات التي تجعله بطلا، وحاول بعض أصدقائه التقرب إليها، وكانت تصدهم في هدوء، ولكن بعد أن عرف الجميع. ثم كانت مكالمة بعد منتصف الليل، تلقاها عادل، حكت له عن علاقة زوجته بماجد، وكيف أن الجميع يعرفون.

عندما عادت من مشوارها اليومي للنادي، كان جالسا علي غير عادته في انتظارها، وجلست إلي جواره مثرثرة بحكايات كثيرة عن نجوم النادي ونوادرهم، والرحلات وحكايات السيدات هناك، وانتظر أن تنتهي، ولكنها ظلت تثرثر حتي نامت مكانها، وكان ذلك أشبه بمحاولة الدفاع عن النفس، فقد حكت عن كل الناس حكايات كثيرة لا يحبها أصحابها، كلها انتقادات للملابس وطريقة الكلام، والتسريحات والمشتريات والسيارات، ولكن لا شيء عن تصرفاتها، وتركها تنام، وذهب ليفكر أكثر مما فكر، لقد رآها تلك الليلة تجلس إلي شاب وسط النادي.

هاله الرقم، إنها تحصل علي مبلغ كبير يكفي خمس عائلات، وفكر أنه لو استدعي أحدهم ليشتري الملابس والأدوات الزائدة في منزله فإن ثمنها يكفي لشراء سيارة صغيرة، ووجد أن الولائم والحفلات التي تعقدها في منزله تكلفه مبالغ كبيرة، ووجوه كثيرة تتردد علي المنزل تلتهم الطعام وتأخذ الهدايا وتختفي.

انطلقت سامية صارخة بعد منتصف الليل في هستيريا واضحة، لقد ذبحت كرامتها كيف استطاع أن يعين موظفة جيدة جميلة، تركب سيارته أمام كل الناس، ماذا سوف تقول لهم؟ وكيف تواجههم وتواجه نفسها؟ يجب أن تفصل هذه السيدة فورا.

كان صامتا يحاول أن يستوعب ما يدور داخل رأسها الصغير ولم يرد، في اليوم التالي سمع الأولاد يتحدثون حديث أمهم ليلة الأمس، وانتظر ردود الفعل، اتصل به أخوته وأخوتها والأصدقاء، يلومونه ويعاتبون ويحاولون معرفة الأكثر، إنهم ينتظرون المعركة، وهو يكره هذا النوع من المعارك.

لم تكن الأحداث الأخيرة لتبعد ماجد عن دائرة سامية بل إنه التصق بها أكثر ، وأصبح يلازمها في جلساتها وحدها أو مع الأصدقاء، وأولادها يدورون في النادي مع كل الأولاد.

في أسبوع واحد اجتمعت كل الخيوط لدي عادل، ووجد أنها توقفت عند فكرة واحدة، أنه الممول، ثم هو وأولاده إلي الضياع، وانتظر عودتها من مشوار النادي اليومي، ليحدثها لأول مرة حديثا خاصا منذ سنوات.

* * *

ـــــة

منذ كنت صغيرة حتي كبرت، كان همّ كل من حولي إحاطتي بالأسوار العالية، بداية أخافوني من الأغراب، والعيب والحرام، وقائمة الممنوعات، حددوا شكل ونوع ملابسي، واللعبات والصديقات، بعدها في المدرسة قاموا بحشو عقلي بمواد كثيرة أسمعها جيدا، وأحل واجباتها كلها، وأحضر لكل الامتحانات، شهاداتي تحوي دوائر حمراء كثيرة أو قليلة، وأنال علقة في كل مرة، أو قد تأتي بلا دوائر، وعندئذ يتنهدون راحة أنه ليست هناك ملاحق في منتصف الصيف، كما لو كنت أعطلهم عن رحلة المصيف التي لم تكن تتم أبدا، وكانوا كل صيف يقضونه في أماكنهم حتي أصبح أملي أن أري الشاطئ مرة قبل أن أموت .

أمي كانت فعالة في مساعدة أبي عندما كان يقيم أسواراً لي ولأخوتي، كانت تراقب الممنوعات التي نتجاوزها، وقد تسكت عنها أحيانا، وكثيرا ما كانت تقوم بالوشاية لأبي، ولا أنجو أبدا من انفعالاته التي تبدأ بالسباب، وتنتهي بالضرب غالبا، ويستخدم في ذلك يداً واحدة أو الاثنين معا، وفي حالات أخري قد يستخدم قدمه، وربما استعان بعصا أو حزام أو أشياء تكون في متناول يده، كانت سنواتي الأولي همسا دائما أتبادله مع إخوتي وصديقاتي وأقاربنا الذين قد يزوروننا في أوقات متباعدة.

في المرحلة الثانوية بدأوا نوعا آخر من العذاب، فأضافوا فوق الممنوعات والمحرمات قائمة أطول بسبب أنوثتي الجديدة. إدراكي نما، وعرفت أن بعد المحرمات والممنوعات طرقاً جانبية للانطلاق. صديقاتي اللاتي سبقن قمن بدور كبير، حتي ننجو من مساءلات الأهل، كنت أظن أن نهاية معاناتي تكون عندما أدخل الجامعة وأصبح مستقلة، وخاب أملي فقد كان أخي الأكبر بنفس الكلية يمثل امتدادا للسلطة والرقابة، وهكذا كنت دائما بلا حول ولا قوة.

لما ابتسم الحظ كان مخلصي أول طارق علي بابنا يطلبني للزواج، رأيت فيه النجدة من سجن البيت والكلية والمجتمع ، السجانون كانوا أبي وأمي ثم أخي مؤخرا، كل ذلك دعا همتي وأحلامي وتفكيري إلي أن تصدر موافقتي بصوت واضح لا لبس فيه، صدرت فورية، لم يكن أبي ليسألني إلا وهو متأكد أن هذا الشخص صالح يليق بالمقام قادر علي تكاليف الزواج، إذن المسألة منتهية ويأتي الإفراج قريبا، أجله أبي عاما كاملا حتي يتمم جهازي من كل الأشياء.

ابتسم الحظ ، عريسي كان جميلا قويا له وظيفة مرموقة، كلماته كانت كالعسل والسكر، مختلفة عما كنت أسمعه طوال سنوات عمري القليلة، ما هي إلا الأيام تجري، ثم أصبحت وحدي بعد أن رفعت الوصاية عني، كنت أظن ذلك، لقد استلمها

المحروس زوجي، حقوقه كاملة علي أتم وجه، مقامه محفوظ دائما، وأهله أهلي وناسي وعائلة أولادي، مصروف البيت في جيبه، وأسئلة عن تحركاتي، وحصار من نوع جديد، لكن أقوي، السنوات الأولي تحملت، والتالية تعبت، والباقية كنت أندب حظي وألعن الزمن وأهلي ونفسي، بعد حمل كبير لأعمال المنزل والأولاد، قلة عقلي تسببت في إجهادي، قالوا لابد من الشهادة، ولابد من عمل الزوجة، ليكون لي حيثية وشخصية ومال، حرة أصرفه كما أريد، وسنداً من الزمان.

وكانت الطاحونة، نهارا للحكومة، وبعد ذلك للإمبراطور الذي اخترته وأولاده، وندمت علي اختيار أبي وموافقتي، وعلي عملي، وفلوسي التي تتبخر في طلبات الأولاد والبيت، سنواتي تمر حزينة ملولة ممطوطة، كل سنة أسوأ من التي قبلها، سواد يلي سواداً، سجاني الوحيد يراقب ويوجه ويأمر ولا يشكر أبدا.

أراقب نفسي في المرآة والزمن يزحف، أراه كل يوم ينذر بالسوء، قاربت أن أتحول إلي شمطاء، تهدل جسدي، وخطوط علي وجهي، وشعيرات بيض تتكاثر بسرعة، انتزعتها أولا، ثم وجدت أنه يجب أن أنتزع ربع شعري حتي يعود السواد إلي رأسي كاملا. صديقة لي أرعبتني عندما رأتني، فتحت فمها دهشة، وصاحت واستنكرت، ثم هدأت ونصحت، وكلامها عاقل موزون، فتحت عيني وأذني وعقلي. إذن أنا مسجونة مظلومة، ولابد أن أتحرر من سجني، زوجي وأولاده، ثم عمري، يجب أن ألحق ما فات، والأمر بسيط، أهتم قليلا بنفسي، وأعتني بملابسي وأشيائي، يجب ألا أدع نقودي تتبخر، بل أضيف إليها ما أستطيع.

سجاني وأولادي فوجئوا بالتغيير، وعبرت فترة الاعتراضات، وعادت لي ثقتي بنفسي، المهم أن أحوز الثقة. تعود علي كل ما أفعله، ولم يعد يهتم بعد أن أصبحنا أسري الأيام والعادات، ودخلنا معا دائرة الملل والإهمال، فلم يقاوم واستسلم، وراق لي ما أفعله، وتحسنت أفكاري، كثيرا، فاستطعت أن أتخلص من قيودي بالبيت، والمواعيد والأعمال، وأصبح لا يهم متي أعود ولا ماذا أفعل، مات الآباء والأمهات بعد الجدود، واقترب الموت من أقراننا قليلا، وما هي إلا سنوات قليلة ويحل الدور، إذن لابد أن ألحق بفرصتي الأخيرة.

أفكاري تتلاحق وأفكر كثيرا، هكذا كنت فترة ما قبل الطلاق، أريده وأخاف المجتمع وأولادي وزملاء العمل، وأسئلة تدور داخلي ماذا أفعل بأيامي؟ وكيف سأسكن؟ وكيف أعيش؟ أريد الحرية وأخافها، مترددة لكني أحس أن البسمة ستكون يوما، عندئذ ألقي القدر رجلي الجديد أمامي، وابتسم الحظ.

الرجل وسيم، ووظيفة كانت مرموقة، كلماته كالعسل والسكر لأنها مختلفة عما كنت أسمعه طوال أعوام زواجي الطويلة، وما هي إلا أيام ؟ حتي حجب عني كل سنواتي، أحسست أني صغيرة جدا، يخفق قلبي للمسة يده، بعد أن نسيت أن هذا يحدث، شعور جديد بالحياة، ذكرني بسنوات قضيتها في ذلك البيت وتفانيت في حفظه ونظافته، وأيامي مسحت كل شبر فيه، وطاقتي أحرقوها لآخرها هباء بلا حب ولا تقدير ولا مجاملة، أستطيع الآن أن أقول إني عشتها مع ذلك الزوج الأناني البخيل، حاد الطبع الذي ينحاز لأهله دائما، مصر أن تكون كلمته العليا، مغرور جبار، جعلني لا أحب أولادي أو بيتي أو حياتي، حرقت عمري في معبد ذلك الرجل، فكان أن باعد بيني وبين أهلي، حتي صرت وحيدة أدور حوله أتمني رضاه ولا يرضي أبدا، وكان طلاق، ووجدت نفسي مع أصدقاء جدد، وأهل بدلتهم، وناس غير ما تعودتهم، فأصبحت سعيدة.

زوجي الجديد يشغل وظيفة هامة قبل إحالته للمعاش، من عائلة كبيرة، كلهم ماتوا من زمن، كانوا محترمين وأسماؤهم لامعة، رجلي الجديد كان متزوجا، ولكن نصيبه أن توفيت زوجته، أما أولاده فهم يستطيعون الاعتماد علي أنفسهم، صحيح أنهم لا يحبونني علي الإطلاق، ويعترضون باستمرار، وبذلك وضعوا الحد الفاصل بيني وبينهم، فأراحوني من البداية، فهم في بيت وأنا في آخر، وأولادي أبوهم تكفل بهم، ولم أنازعه إياهم، أعرف المشاكل فدرت حولها...!

يتهمني الجميع بأني متصابية أرتدي ملابس الصغيرات، وهكذا أعجب زوجي وأعجب نفسي، وسوف أحافظ علي زوجي الجديد بكل قوتي، وبجميع الطرق، لأني لا أريد أن أفعلها مرة ثالثة، وهذا حقي أن أعيش، وتكون حياتي هكذا معدولة، بعد سبع وأربعين سنة مقلوبة، لم أصادف فيها أي لذة أو نجاح، وهذه هي المرة الأولي التي أحس فيها طعم الدنيا، وسأفعل كل ما أستطيع لأحافظ علي ما أنا فيه، وليبعدوا عني جميعا.

***

حـواء يا ساتر... حـواء ياريت.

رأيت أمي تحب أبي، وهكذا سأحب زوجي، كل شيء في حياتنا مستقر هادئ ناعم. أخوتي الصبيان اثنان أكبر مني، دائما ينادونني يا جميلة، الشاي والقهوة والتليفون حتي المتاعب كنت أتحملها أكثر، أختي هي الكبيرة، أسمع كلامها، أحبها، وأعمل عنها كل الواجبات، كلهم اعتمدوا علي الجميلة، الطيبة، كنت هكذا حتي يوم مات والدي، كان ذلك نقطة تحول رسمت أول تقطيبة في حياتي، وكانت محنة مر بها الجميع، أسرتي وكل الناس يفقدون الأب ثم تسير الحياة، أمي كانت الأم والأب، وأخوتي أصبحوا أكثر حنانا وترابطا حتي ربط الله علي قلوبنا لتمر الأيام الصعبة وتأتي أيام باسمة أو فرحة.

كبرت الصغيرة وأصبحت عروسا، وعريس جاهز، ابن خالتي عينه مني، وأنا أيضا، أحلم بيوم دبلة وزغرودة وفستان أبيض، وأحلم وهو داخل كل أحلامي، معاكساته ومعاكساتي وشقاوة. في العشرين، كلمني، طلبني وقال الكلام المنتظر، طلبي الزواج يا ناس، بنت خالتي أنا أولي بها، كلمني وحدي، فرحت وضحكت وجريت لأمي، قالت، وأخوتي قالوا، العريس لا يعجبنا، نريد »عريس تفصيل«، سنتان مضتا.. تعب وكلام ومؤتمرات واجتماعات ودماغي ناشفة، إلا هو وإلا فلا سمعوا كلامي وقالوا ذنبك علي جنبك، العريس ثني مد، مدرس ألعاب. ماذا يعيب؟ موافقة، قالوا البنت كبرت وتختار.

أخته، ابنة خالتي الكبيرة، يسمع كلامها، سهلت الصعب وساعدته ليتغلب علي مقاومة أخوتي وأمي، يوم الزفاف كان يوما حزينا، أخوتي واجمون، حزاني علي اختياري، لا ابتسامة ولا مساعدة، يوم سوف ينتهي، بنت خالتي حبيبة روحي وسري، قالت ولا يهمك، الأيام القادمة أكثر وأحلي.

* * *

سهرة ليلة الزفاف كانت في البيت، كان أصدقاؤه وزوجات أخوته معنا، غريبة..! ويسكي، وشرب وضحك، وأحرجوني لأجل خاطري، كأس صغيرة، شربت ودخت. أسبوع في الإسكندرية، عريس وعروس والدنيا تضحك، والضحك علي طول، يارب. انتهي الأسبوع ورجعت العروس لبيتها. قلب الصفحة وجدت نفسي في معسكر، طلبات وأوامر وكل أعمال البيت، نظام وترتيب، دقة متناهية كالساعة، موافقة، شهران

من الوحدة والخوف والترقب والوقت الطويل والعتاب واللوم ونظرات جامدة حتي لا تشكو العروس الصغيرة. مرة تجرأت وقالت كفاك خروجا وحدك، وانفتح باب جهنم، وتهديد ووعيد وإصبع طويلة تهدد وتشير، وهزمت العروس، ولملمت كلماتها وأحلامها وأصبحت طيعة أكثر وصبورة وأكثر احتمالا.

العريس شاطر مدرس ألعاب ينظم استعراضات ورقصات ويمثل في الأفلام، كل فيلم له رقصة جماعية كان دائما فيها، الناس عرفته والمال جري بين يديه ، ابتسامته تكبر وتتسع وتشمل كل الناس، والعروس سعيدة ولكنها خارج الابتسامة.

العريس شاطر يخطط للمستقبل من قبل الزواج، لا أريد أولادا، العروس مطيعة، شريط الأقراص دائما إلى جوار السرير، وشريط آخر لزوم الطوارئ، ولأن العريس غاوي نجاح، أتاه لغاية عنده عمل بالريالات وسافر. توقعي يا عروس أي يوم تجدي التذكرة والتأشيرة فورا تسافري، العريس سيكون علي نار والعروس مع الأقراص تنتظر السفر إلي بلاد العقال، وهجم السرور ووصل الإشعار وحل وقت الترحال، وسافرت إلي بلاد الغربة والوحدة والليالي الطوال، أقراص، أقراص، أقراص، تعبانة زهقانة، حيرانة.
قلة التركيز، لخطبت الأيام، العروس حامل، والحكاية كلها شهور، فرح وسرور وبهجة وأمل كبير، هكذا كانت العروس، والعريس متجهم، عابس محتار، والحركة كثيرة، والعروس صغيرة، جاهلة، لا تدري، نزيف، دم كثير، العريس واجم، وحزين كان يريد والآن لا يريد، النزيف كثير، لم يهتم، العروس تعالج نفسها، شاحبة، ضعيفة، حزينة، الدكتور قال: استريحي سنة أو سنتين والحمل يستمر. سنتان مدة طويلة، كابوس علي قلب العروس، همها في كتابها وتعليمها حتي البكالوريوس، شدي حيلك، أربع سنوات بالأمل تعيش، همها البيت والكتاب وراحة الزوج، تعودت الحياة مع رجل مشغول بكل شيء وأي شيء إلا زوجته والبيت، صابرة وساكتة والأمل موجود، مطلوب طفل، "ياريت"، يترقب وصوله الكل إلا هو، فقط ينظر ويعاير ويرفض المساعدة والجميع أهم، والعروس الأخيرة. الوجه الآخر للعريس رجل يهتم بنفسه ومظهره وسمعته والشكل الاجتماعي في المقام الأول، ويأتي كل الناس بعد ذلك، ثم هي في النهاية دائما.

مذاكرة وسهر وأوراق دكتوراه، ساعديني، ساعدته الزوجة الصغيرة، لم تصبح الآن عروسا، اهتمت بالأوراق والمذكرات، نسخ وطبع وتصوير وترتيب وتلخيص، هي جاهزة، وسهر وأعصاب مشدودة كأن الدكتوراه لها، وحصل عليها، قال: سنوات من الدراسة قام بها وحده، ولم يتذكرها أبدا، الجميع هنأوه، أقامت له حفلة كبيرة، الجميع جاملوها، وانفض المولد، ثم لم تجد حتي ابتسامة تقدير أو مجاملة، دمعة تحجرت في عينها، ثم دمعة أخري عندما قال له الطبيب إنه يستطيع أن ينجب من

سيدة أخري، وقال لها نفس الكلام، كان طبيبا غبيا زرع الفكرة في رأسه، تحاليل وأشعات وانتظار للأيام والفرج، البرود أصبح طابعه، لا يهتم ، يهتم أكثر بالمال يجمعه كثيرا وينفقه أكثر، ويمن عليها أنه ولي النعمة، وانصرف عنها.

دارت علي الأطباء تحمل أوراقها، أكدوا المعلومة، أضافوا إنه ضعيف وربما، تمسكت بالأمل ولكن أين الزوج، خرج يدور؟ يقولون عنه: دائما يزور السيدات، أزواجهن غائبون، يتلمس نفسه عند الساقطات، ربما أحس برجولته، واستمر حتي هجر الزوجة وأصبحت جارة له تحبه وترعاه وتحفظ ماله وشرفه، هذا واجبها، أما واجباته هو، فلها أن تشكره إن أبقاها في منزله خمس سنوات، ثم خمساً أخري يجربها ليحصل علي طفل ويفشل، ثم يحصل علي عمل، وينجح، والدكتوراه، ويشتهر وهي تعاني في الظل تجتر إخلاصها وأحلامها، تري نفسها شهيدة الأنانية والفجور.

تزوجته من خمس سنوات، وخمس أخري في الغربة، والريالات تتكوم في شقق وسيارات وحسابات في البنوك، تزوجته زمان والآن هي متزوجة العائلة كلها، البيت كله أخوته، شقة فوق شقة، أخ وأخت وأولادهم والأقارب، بعد الصحيان يزوغ ويرجع تعبان وقت النوم، شغل البيت بسيط ينتهي في ساعة، والملل قتال، تدور علي إخوته يدعونها إليهم تساعدهم، وقت فراغها كبير، ساعدتهم وربت أولادهم، شاركتهم بعض أفراحهم وشاركتهم كل أحزانهم، هي الأميرة الطيبة، والكل يفرغ شحنات الغضب والألم، وتري وتعيش وتنتظره آخر الليل، تتسمع خطوته فوق الدرج، كالقطة تعرف الصوت، تقفز تفتح الباب، تعد الطعام، تجهز الحمام، توسع له الابتسامة كل يوم أكثر، لا استجابة لا اليوم ولا أي يوم.

قال أنا عاجز يا ناس، لا أعرف، غير قادر، حرام أظلمها معي، متي الكلام؟ بعد شقق جاهزة في كل مكان، ورصيد بالآلاف، ودموع ليالي مفترسة، خمس سنوات وبعدها عشر أخري، ما كان من زمان...! لم يكن هناك حتي طيف لرجل، هو فقط ، في الأول كان الرجل، وفي الآخر كان الحلم، تنازلت عن أحلامها وآمالها وأمومتها حتي يرضي، وتركت الكرامة خارج عتبة غرفتها، فعلت المستحيل ليستمر المستحيل، قالت له: تزوج من أخرى، أى واحدة، عشر، أنت ابن خالتى، لحمى، وشرفى، سندى، بعدك الدنيا فراغ، ظلام، موت، أذنه من طين والثانية أيضا من طين، لا تدرى إذا ما كانت امرأة أو خيالا. حتى يرضى نفسه وسمعته وماء وجهه، رضى أن تحرقها النار، الطب مرة ثانية، هناك قالوا أطفال الأنابيب وتلقيح صناعى، وافقت، رضيت، دفع، حملت وتأكدت من سلامتها وارتاحت، وأمل جديد، وانهار الأمل، سقط الجنين، فحوص وتحاليل وأخطاء العمليات وجراحات ومناظير وبهدلة، سنوات وسنوات وعشرات الإبر والدبابيس فى العضل والاحساسات. بدأ يجاهر يريد الطلاق، إهانات تلو الأخرى، حتى

الشفقة حرمها منها، وتركها ملقاة داخل المستشفى يدور على زوجات الأصدقاء.

إحساس الأنثى بالمرأة الأخرى مات منذ زمن، تبلدت وعرفت من زمان أنه "ألعبان"، منهار، متهرئ الضمير والقلب، احتفظ بها أجمل سنوات شبابها، حفظها في بلاد العقال، وأضاع عليها فرصة الشباب لتختار، حتي إن حررها فهي لم تتحرر منه بعد، تريد ولو الظل، العقد، الاسم، الستر، لا يهم المال ولا حتي الأولاد، شقة جديدة للمحروس في الحي الراقي، عشرات الألوف، فرحـــــة جديدة، عمل جديد وتلهية جديدة لها، وفرت له وعملت كل ما تحب أن يكون، واختارت بذوقها كل شيء، جنة أصبحت، أين آدم؟ غير موجود، ليس هنا، الجنة بعض الوقت ثم يختفي كأيام زمان، نسيت كيف تكون الزوجة، سنوات لم تحس دفء مشاعره أو لمسة يده، المحروس فرحان بالشقة الجديدة أضاف لها الكثير، أربعة شهور فقط كانت كافية ليبحث عن عروس تنجب الولد، أخوته مفترسون يحاولون امتصاصه، أن يرثوه علي قيد الحياة، مستحيل أن يكون.

شبابه أفناه يبحث عمن تأتي بالولد، العشرات يتزاحمن علي ريالاته، يرضين بأي شيء، يبذلن أنفسهن راضيات، ثم يختفين بسرعة، يفشل معهن، يحاول، يحارب، يتوقف، يعتني بكل شيء ظاهري، والداخل محروق، يحاول إثبات رجولته، ابنة خالته مضمونة محبوسة داخل جدران المنزل، مربوطة بعقد الزواج والأسرة، لن تستطيع حتي الشكوى، ولا أن تفكر في الفرار، أناني يصول ويجول في حجرات نوم الآخرين، لا يدري من يطرق بابه الآن، عشرات من الزملاء والجيران وبعض الأقارب، فهموا وأحسوا بوحدتها وحنينها إلي الطفل، يتطفلون ويعرضون أنفسهم، كلمات موروبة ونظرات ثاقبة تختلس من فتحات الملابس، حتي الطبيب غمز ولمح بالتلقيح الصناعي، سافل هو، تركته إلي غيره، هربت إلي داخلها، وأغلقت كل الأبواب، لجأت إلي الله، تدعو ليهدأ ويعود إلي بيته، ليحس أنها موجودة، خدمة يومية ليل نهار، أكل وشرب ونوم وملابس وأدوات حتي أعمال السكرتارية كلها قامت بها، رصت له الريالات أكواماً، ليرتفع الرصيد.. عشرات الآلاف، مائة، مائتان، لا تهمها النقود، وتهمه الآن كثيرا، لا يحس، يطلب النتائج، وهي في قاع ذاكرته. علي السطح الآن "سنيورة" جديدة متزوجة ولها أولاد ثلاثة، غير سعيدة بزوجها، رمت عليه همومها، هو المنقذ، فارسها الذي تحلم به، أحاطها، سندها، مد يده ليسعدها، رمت الشباك حوله، ورمت أولادها في حضن أبيهم، رمت سنوات شبابها إلي الخلف، قالت سوف نعيش مرة أخري، رمت عشرة السنوات، حصلت علي حريتها أخيرا.

أخت زوجها، ولية أمره، أخته الكبيرة، يسمع كلامها، سهلت الصعب، وساعدته كثيرا ليتغلب علي المقاومات، »سيناريو« جديد نفذه بدقة، أخوته الرجال

عاونوه، عزوته، عزوتها أولاد خالتها انحازوا معه، رتبوا كل شيء حتي الأحداث والكلمات عدا واحد منهم، رجل قال: هذا ظلم وانسحب.

في جلستها وحيدة دخل عليها، أعلن لها أن حياتها معه انتهت، بلا سبب. سبها، هددها، ضغط أكثر وأهانها، فعلت ما يريد، أن تلطمه علي وجهه، استكان، وتقبل الإهانة للحظات، هجم عليها ومزق ملابسها وطرحها أرضا وركلها بقدميه، صفعته كرامة لسنوات الشباب والحب التي ألقاها بعيدا، ضربها وأهانها كرامة لعروس جديدة، لتغضب لكرامتها وتنصرف من منزله، أحاط بها الزبانية، أولاد خالتها أولهم أخته الكبيرة ولية أمره، كلموها، تعقلي تحملي، أيام وتمر، نزوة وتنتهي، اذهبي لأمك أياما، طلبوا الأيام للهدوء، أعصابها تهمهم جدا، ذهبت، أخذوها، أخذوا الأيام.

العروس الجديدة دخلت بيتها، فتحت كل مغلوق، قلبت، اختارت، ملابسها وأسرارها مفضوحة كلها لها، تركت لها أثاثها، جهازها، وكل الجديد والجميل والغالي للعروس الغالية، حتي فرش السرير ملاية وبطانية، وغطاء وسادة نامت عليها يوما، رائحتها فيها، لا يهم، كان عادلا للغاية، أخذ كل ما أحضره لها، وتناسي ما اشترته من حر مالها، تناسي أنها ابنة خالته، سواء كانت زوجته أو طليقته، معلقة في رقبته، لا يهم. ابتسامة الجديدة بمليون جنيه.

يوم الطلاق أحضر المئات، أربعون جنيها نفقة الشهر..! باحترام وضع المبلغ في مظروف كتب عليه من الخارج الحساب، وعلاوة عليه مؤخرها بالضبط، بأسعار زمان..!
جامدة، تحجرت الدموع، وافقت علي كل شيء لينتهي الموقف. لقد باع ولن تبكي عليه. لحظة من لحظات القدر، قلب الله كل الحب في قلبها إلي حجر كبير وأزاحه عن صدرها وتنهدت، يا ساتر. في البيت بكت، أراد الله ألا يكون لها أطفال، ولا زوج أيضا، دموع تغسل وتطهر، ثم جفت فجأة، تناست وأكرمها الله ببعض النسيان.

سوق المطلقات، سوق جديد لم تدخله، دخلته اليوم، كل الأصدقاء والأقارب والصديقات والجيران وزملاء العمل يعرضون العرسان من كل شكل ولون، تاهت، وافقت في البداية أن تري الناس ، داخت واحتارت من سيكون؟ أرمل أو مطلق أو رجل تأخر زواجه لظروف، منهم الغني والبخيل ومن رزقه محدود، لهم أولاد واحد واثنان وثلاثة، السكن في كل مكان شقة جاهزة وسيارة، منهم المتزوج ويريد الزيادة أن يعيش في الحلال ، وهي في الظل، دوامة، غير ذلك رجال كثيرون يحومون، ربما اصطادت سنارتهم سمكة من السوق يتلهون أياما، رفضت الجميع.

البسمة ارتسمت علي وجه طليقها، الجديدة حامل، وشهور وأتت بالصبي الحلم، أكتب له الثروة والشقق والأملاك، الأيام دوارة غدارة، أريد نقودا، ساقية الأيام تدور ويرمي لها النقود، تلمها وتعدها وتختفي، اعتمد علي نفسه في كل شيء، الملبس والمأكل والغسيل، حتي رضعة الطفل مسئوليته، مشغولة هي بكل شيء إلا زوجها وابنها، لا يهمها ما يكون، طفله الوحيد، طفلها الرابع، لقد تركت ثلاثة قبله لأبيهم وتترك الرابع له، كان متوهجا عندما كان في البداية، والآن يخبو كل شيء في عينيه، كل شيء، وأولها السعادة، مرهق من تعب اليوم، والطفل يرهقه أكثر، يكاد يبكي من الألم والوحدة، جهز لها الليلة مرتب الشهر، جمعه من كل مكان، ربما ترضي وتبتسم، حتي ابتسامتها أصبحت حلما الآن، يا ساتر.

طيف هادئ خجول ينسل إلي مخيلته في هدوء كالملاك، الأولي باسمة طرية كالنسمة، يكاد يحس بأنها موجودة، ياريت.
جرس الباب، قام ، وفتح، دخلت الثانية عائدة من عند "الكوافير"، هالة الشعر حول رأسها رائعة، عطر يطيح به جانبا، دخلت مسرعة، أين النقود؟ دفعها إليها، عدتها في تؤدة تحاسب علي الباقي لم تطرف عينها، لم تبتسم، لم تنظر للطفل، ترتدي ملابس أخري، خارجة أنا الآن، لا تنس أن تتعشى، اعتن بالولد، صوت صفقة الباب يخترق أذنيه، يا ساتر.

سنوات الطلاق طويلة كئيبة باردة، كلهم طامعون وعيونهم زجاجية، تريد الأمل، تريد طفلا، القدر دفع لها بعشرات الرجال يعترضونها، أشاحت النظر وتموت الابتسامة. يوم كان لقاء بلا ترتيب ولا أهمية، فمن سيكون، رجل والسلام، جلسة والسلام، فكرة والسلام، وساعات تمر كأنها تراقب التليفزيون، بلا عناية تذكر، قابلت صديقتها ومشت إلي النادي غير عابئة بأي شيء، هناك الرجل، نظرت، فحصت، وزنت، ولا استجابة عملية لأي شيء، هادئ ينظر في سكون، ماكر يزنها في ميزان أفكاره، تركته يفكر، وانساقت وراء حكايات النساء صديقاتها، تحكي وتسمع، وربما رمقته مرات، توقفت، أحست أنه مختلف، ثم قابلته كثيرا، راح حتي منزلها وقابل أمها وأخاها، قالوا له، لا تتعجل. ولم يتعجل، ولم تتعجل، فقط تزوجا، أحبت أولاده، وأولاده أحبوها، نسيت أعوام مضت، تزوجت الآن، وهؤلاء أولادها تغطيهم في المساء، وتبكي لألمهم، وتمسك معدتها أن تفر منها من شدة الضحك، وذابوا فيها جميعا، وذابت فيهم، هل هذا طعم الحياة؟ هل تستمر؟ "ياريت".

* * *

عندما عاد لطفي إلي المنزل، وجد مفاجأة كبيرة، غرفة نومه تحولت إلي غرفة الطعام وغرفة الطعام نقلت فيها داليا غرفة النوم، ورغم أنها أضيق قليلا حاولت أن ترتبها في شكل معقول، وعندما سألها عمن أعانها، تفاخرت بأنها استطاعت وحدها تحريك كل قطع الأثاث إلي مكانها الجديد. وانبهر بقوتها ولم يصدق أنها فعلت ما رآه، إنه نفسه وهو أقوي منها بكثير لا يقدر علي ذلك وحده، وانتهي الموقف بين مصدق ومكذب.

عندما تكرر ذلك لباقي غرف المنزل، وحدث ذلك أمامه، صدق أنها قوية، ولكن تأتيها القوة في نوبات متفرقة، يسبقها نشاط زائد، فتقضي أعمال المنزل بهمة ونشاط ومثابرة حسدها كل من حولها عليها، إلا أن ذلك تعقبه نوبات رد الفعل، فيجدها تحس بالآلام البدنية والإرهاق، وتستجدي المساعدة ممن حولها لأنها لا تستطيع القيام من مكانها بعد مجهودها الكبير.

أدت قدرتها إلي إحساسها بالتفوق والغرور، فهي تستطيع أن تنزل إلي السوق، وتشتري أصناف الطعام كافية لمدة أسبوع أو لوليمة، أو تشتري قماشا لفستان أو اثنين، وتقوم بالعمل كله وحدها، لتنال الإعجاب وتحس بالقوة، فتستمر لتطرز مفرشا من "الكانافاه أو الكروشيه"، وتنهي جميع هذه الأعمال في وقت قياسي، ثم تتيه خيلاء بمشغولاتها كأنما نسجت خيوطها من ذهب وفضة، وتعرضها علي الناس لتنال الإعجاب فتناله مرة وتفقده مرات، وتحس بعدم اهتمام من حولها.

بعد السنوات انحطت قواها، وأصابتها آلام الفقرات، وأصبحت نظارتها سميكة، ولم تعد قادرة علي نقل الأثاث وحدها، أو أن تري ثقب الإبرة حتي تطرز خيوط الذهب والفضة، وفقدت اهتمام الناس بما تفعله، كما أن لطفي وأولاده أصبحوا يرون كل ذلك طبيعيا بحكم تكراره، ثم بحكم تقدمها في السن، فأصابها الحزن وتصلبت في أوضاع كثيرة، واقفة وراقدة وجالسة، ورسمت التقطيبة خطوطها علي الجبهة والخدين، مع تجاعيد الزمن وأصبحت كئيبة تلقي كآبتها علي من حولها، حتي تحول يومهم إلي صمت مستمر وزفرات تغدو وتروح. ترمي الصحيفة بعد قراءة بعض كلماتها، وتفتح التليفزيون وتغلقه ثانية مرات كثيرة، وتشاهد فيلم الفيديو في خمس دقائق، تري مشهدا ثم تجري بالفيلم حتي نهايته، وفقدت شهية الكلام ،وأصبحت تحس بظلم الجميع في الأتوبيس والشارع والعمل، وظالمها الأكبر هو لطفي وأولاده، وفاضت كآبتها وازدادت حدة شعورها بالوحدة، ولم يملأ فراغها محاولات زوجها وأولادها وأصدقائهم وأهلها، ولم ينجح أحد.

هربت إلي النوم، نامت بعد آذان المغرب وشبعت نوما، واستيقظت قبل الفجر،

دارت في المنزل تحاول أن تفعل شيئا تقتل الوقت به، غسلت ونشرت وطبخت وكنست، والوقت لا يزال طويلا، فالأسبوع سبعة أيام والشهر ثلاثون يوما، نائمة عندما يكون الناس في قمة نشاطهم، ومستيقظة وهم نيام، ويتورم عندها شعور الوحدة والاكتئاب والقلق.

انتابتها نوبات القوة والهياج، رفعت الكرسي ثائرة، ألقته علي الأرض، لم يتحطم، ولم يشف غليلها، ولم تتفجر طاقات الرضا بعد، رفعته مرة أخري وانهالت به علي الأرض، تكسر قطعا كبيرة، أمسكتها واحدة بعد الأخرى تهوي بها علي البلاط حتي انتهت تماما، وعد لطفي قطع الخشب المكسورة وجدها سبع عشرة قطعة، ورآها والعرق يغمرها وأنفاسها تلهث وانفرجت أساريرها قليلا، عرفت الطريق كيف تنتعش وتنفسّ عن الغضب.

في التالية حماتها كلمتها بالتليفون وأغضبتها، فانهالت عليها بيد الهون فوق التليفون، تحطم إلي عشرات القطع، وأصبحت حماتها لا تملك أن توصل صوتها إليها، انفرجت أساريرها مرة أخري، لكن حماتها وصلت كلها بشحمها ولحمها وكلامها وجعلتها تكتئب ثانية. بعد نزولها أمسكت الكأس التي كانت تشرب فيها العجوز وألقتها علي بلاط المطبخ، أحدث ذلك دويا بسيطا لم يعجبها، رفعت الصينية كلها وعليها باقي الكاسات وزجاجات المرطبات رفعتها إلي أعلي وألقتها علي الأرض، حدث الدوي وتحطمت الكاسات وجرحت ساقها وسال الدم وانفرجت أساريرها، حطمت وكسرت وقطعت وصرخت، حتي شعرها لم ينج منها، بالمقص وقدر ما تستطيع وقصت وارتمت علي الأرض، ثم لطمت ومزقت ملابس لطفي، وصاحت محاولة القفز من الشرفة، وأشعلت النار في المنزل، أصبحت خطيرة..!

لطفي استشار الطبيب ثم أخذها إليه، فأعطاها حبوبا رمتها من الشباك، اتهمتهم بالتآمر، شخص الطبيب حالتها بأنها اكتئاب حاد أعقبه الهوس، صرح بأن تفعل ما تريد وألا يعارضها أحد، سأل عن سنها وعن تطور حالها، وأصر علي العلاج والمتابعة، ثم انصرف اهتمامه عنها إلي مرضي آخرين.

لطفي احتار والفضيحة صوتها عال طوال الليل والنهار، والأولاد كبروا وأصدقاؤهم يترددون علي المنزل، تفتح لهم بالقميص الشيفون، وتنشر الغسيل، وتنادي الجيران من الشرفة بنفس الهيئة، زملاؤها في العمل تهامسوا، تغامزوا وتكلموا، ثم اشتكوها لزوجها، اقترح عليها السفر أو إجازة طويلة، تفرغت له، لم يتحملها، دفعها إلى أهلها، وتتزايد الشكاوي من الأولاد والأهل والزملاء والجيران والحل الطبيب، أعطاها أقراصا، ودعا له بالتحمل والصبر.

خطيب للبنت، عرفها من النادي، داليا راحت إليه، جرته إلي المنزل، لابد أن

يكون التعارف عائليا، لا يجوز معرفة النادي هكذا، حضر العريس، نسيت نفسها، ظنت أنه جاء من أجلها، تجملت، صففت شعرها عند الكوافير، وأخفت الشعيرات البيضاء المتناثرة، فظهرت أقل من الأربعين كثيرا، فستان جميل لونه وردي، صدرته مفتوح قليلا، لا، كثيرا صدرها مازال جميلا، شدت حمالاتها لفوق، ظهر صدرها أكثر، احتارت ثم تركت الفستان، اشترت حلويات ومثلجات وشاي وقهوة وفواكه، رحبت به كثيرا، قامت وجلست مرات أكثر، كانت مفتونة بالعريس، مسكينة ظنت أنه لها حتي حضر لطفي، أفاقت قليلا، وانتهت الزيارة، عاتبت لطفي أنه لم يعامله كما ينبغي، كان من المفروض أن يكون أكثر اهتماما وحفاوة، هي نفسها احتفلت جيدا واتفقت معه علي صفقات وأعمال، تحاول أن تكون سيدة أعمال هذه المرة، أثنت علي العريس، أفاضت في وصفه وجماله وحسن طلعته، تغزلت فيه، نسيت، لطفي لطمها عندما قارنت وتحيزت ثم تجاوزت.

كانت ومضة الفكرة هنا، إنها غير سعيدة، ولابد أن تكون كذلك، سنوات مضت كلها كئيبة، وأصبح البيت بكل ما فيه مملا، لابد من التغيير، يجب أن تتزوج ثانية والطريق سهل بسيط، كسرت زجاج النافذة وبضعة أطباق، وبعض قمصانه وفساتين قطعتها، وجرحت نفسها واستمرت في الصراخ، استدعوا أهلها وأهله، قفزت إلي أعلي، خبطت الأرض برجليها مرات، صرخت ثانية، وشدت شعرها وبكت ووقعت علي الأرض، اختل توازنها، تذكر لطفي كلمات الطبيب، اكتئاب متقدم لم يعالج، وهوس عصبي يتطور وعدم تقبلها للعلاج، تذكر أحداث السنوات الماضية، والليالي الصارخة الدامعة، وتذكرها بالقميص الشفاف تفتح الباب، وتنشر الغسيل وتشتم الجيران، تذكرها مع الخطيب المزعوم لابنته، وتوالت صورها الحزينة التي تنبئ عن مستقبل غير واضح الاطمئنان، ألقي لطفي إليها كلماته وحررها.

انطلقت تعيش شبابها الذي مضي، وتصابت تبحث عمن يقدر جمالها وقدراتها، لا تستطيع أكثر من ذلك، فهي لا تجد شيئا تمزقه أو تكسره أو أحدا تصرخ في وجهه وتهدد بالانتحار، ولا تجد من يتوقف ليري ما تفعله بنفسها.

الآن تتحدث كثيرا مع الناس، تشكو الوحدة والفراغ، وعدم التقدير، أو تحدث نفسها، تتوهم الآخرين أمامها، تستجدي الشفقة والاهتمام التي ربما يلقيها إليها عابر سبيل، لتهدأ قليلا، هائمة، زائغة النظرات، متوترة مهزوزة، قلقة ملولة فهي وحيدة، وربما قنع بها رجل وتزوجها، أما أولادها فقد استراحوا من صراخها، وأحبوا الهدوء ونسوها أو تناسوها.

* * *

واحـــد فى الصـــف

عمره كان خمس سنوات عندما وجد ذهني نفسه يقف في الطابور أمام حجرة تسليم الكتب بالمدرسة، وحملته المدرسة ساعتها مجموعة ضخمة من الكتب والكراسات وأقلام الرصاص والألوان أخذها إلي البيت، لينشغل الجميع في تجليدها بالأغلفة الملونة وكتابة اسمه عليها، وتجهيز شنطته لليوم التالي، ثم أضافت أمه "السندوتشات" إليها في الصباح ورافقته إلي المدرسة، وعند الباب أعطته قرشا ليشتري الحلوى أو المرطبات، وانصرفت بسرعة وتركته يبكي.

مرت سنوات الدراسة الأولية لا يذكر منها إلا بعض الأسماء والحوادث، وإن كان معظمها لا يتعلق بالمدرسة، وبعد سنتين تغيرت المدرسة، وكان قد كبر وعرف معني أن يكون تلميذا، واستطاع أن يحس بمنافسة الأولاد، وقرر أن يدخل المنافسة ليكون ترتيبه الثاني، ينافس سيد البسيونى علي المركز الأول، واستطاع انتزاعه منه مرة عاد بعدها إلي ترتيبه ليتطلع مرة أخري ويشعر بتفوق زميله عليه، وهكذا تصادق مع سيد البسيونى وظلا يذكران ذلك لعدة سنوات تالية، حتي حصل ذهني علي الشهادة الإعدادية ولم يكن عمره يجاوز الثالثة عشرة كانت كلها مليئة بالأحداث.

في الصيف كانت الرحلة إلي الطود، قرية صغيرة بالبحيرة، كان ذلك برنامجا ثابتا في حياة والده، وكان الجدود والأعمام مازالوا هناك يبقي معهم شهور الصيف، ويتمتع بإجازة في حرية لا ينقصها شيء، يملك اليوم بأكمله مع جده وجدته ينطلق مع الرفاق إلي الحقول، كانت البداية دائما متعة ركوب القطار، يقضون به ساعات المرح، وهو وأخوته يأكلون ويدورون يكتشفون ركاب القطار، ويعودون ليجلسوا بجوار النوافذ يعدون أعمدة التلغراف، ويتبارون في معرفة أصناف المزروعات أمامهم، وتصل قمة الإثارة في رحلة الذهاب عندما يصل القطار إلي محطة كوم حماده، حيث يجدون مظاهرة كبيرة تنتظرهم، علي رأسها مأمور المركز ومدير المستشفي وناظر المدرسة الثانوية، ومجموعة من الرجال المهمين ومعهم رجال الأسرة ممن يقيمون في المركز مع أولادهم، والآخرون جاءوا من القرية يتزعمهم عمه، وسط مظاهر الحب والسعادة .

كان يري الرجال يحيطون بوالده، يقفون علي مسافة منه إكبارا واحتراما، يستمعون ويقولون كلاما لا يفهم له معني، ثم يتحرك الركب خارج المحطة ليجد السيارات التي ترافقهم إلي الطود، يصلونها بعد رحلة بطيئة عبر الحقل ، وإن كانت لا تبعد كثيرا عن المركز، إلا أن الشوق إلي لقاء الجد والجدة والعمات يطيل المسافة، حتي يجدهم جميعا في النهاية يستقبلونهم في البيت الكبير بمظاهرة حب أخري.

كان يعتني باللحظات التالية لوصوله، فلم يكن يهتم بمن يشدونه يقبلونه

ويسألونه، وينطلق يلاصق والده حتي يراه عندما يستقبله الجد والجدة، لحظات لا ينساها أبدا، كان الأب ينحني هو وطربوشه يقبل يد الجد الجالس علي الأريكة وسط الدار، ثم يحتضنه ويقبل وجهه بعد ذلك، بينما الجد يتمتم منفعلا بكلمات لا يفهمها سواهما، في الوقت نفسه كانت جدته لطيفة تجذب أباه، وتشده بإصرار ليتخلص من حضن الجد، لتحيطه بكلتا ذراعيها، تكاد تأكل وجهه بقبلاتها المشتاقة، فلم تره من عام مضي، ودموعها تسيل في فرحة، ووالد ذهني لا يكاد يتخلص من قبلاتها، حتي ينحني مرة ثانية ليقبل يدها مصرا، وتسحب يدها يحس بها تتمني لو تظل كذلك حتي نهاية اليوم، وقد لاحظ دائما أن طربوش الأب يأخذ مكانا كبيرا عنده خلال المقابلة الممتدة من محطة كوم حماده حتي نهاية سلامات الأعمام وأولادهم.

يوم وصولهم معروف يستعدون له كثيرا، هو وأخوته والقرية كلها، ويأتي دور الطعام فيضعون علي المائة خيرات الريف، ويراقب الكلمات والوجوه، وعند المغرب بعد أن يصلي والده يدخل الدوار، يجدهم يعلقون الفوانيس فلم تكن خطوط الكهرباء قد وصلت القرية في ذلك الوقت البعيد، يدخل ليجد أفواجا من أهل القرية قد أتوا للتحية والسلام، القارئ يتربع فوق كرسيه يجود عليهم بصوت جميل، ثم ينطلقون في أحاديث طويلة بعد صلاة العشاء تمتد حتي بعد منتصف الليل.

يري أباه نجم الليلة وكل ليلة تالية ينظر إليه منبهرا بمكانته وسط رجال القرية، ويسمع أحلام الرجال ومشاكل الأخوة والأولاد والعلاقات وأخبار الأحياء وأسماء من ماتوا، ثم يري أباه عندما يتكلم، الجميع يسكتون ينتظرون كلماته، وعندما يحضر العمدة وشيخ البلد، وينتظرهم شيخ الخفراء خارج الدوار، كان يحلو له أن يري الجميع يجلسون أمام الوالد، أيديهم مطبقة في حجورهم ينظرون ويسمعون ما يقوله الرجل في اقتناع واحترام، ثم يتعجب عندما يري والده يجلس بنفس الطريقة، خافضا الرأس في حضور الجد العجوز ويسمع ويلبي كل كلماته، لا يناقش، وكان يثير عجبه أن أباه كان قادرا علي مناقشة الجدة عندما تكون وحدها. وجد أباه الزعيم لكل هؤلاء الرجال سنة بعد أخري، واستطاع أن يدرك أنه أيضا يستطيع تقمص الدور نفسه وسط أولاد العم الآخرين من أصدقائهم.

في القيلولة كل الناس في الراحة في البيوت والحقول، هو مع أصدقائه يدورون في كل مكان يمارسون الشقاوة، علي ضفاف الترعة، يصطادون السمك ويعجب من هؤلاء العرايا يقفزون في الماء الملئ بالبلهارسيا، يسبحون ويخرجون دون أن يظهر عليهم أن المرض قد هاجمهم، فمازالوا أصحاء، ولولا بقية من طاعة لقفز معهم، وطالما حلم بذلك، ولكن يتوقف في الوقت المناسب. كل مغامراته كانت ظهرا وليلا.

ذات قيلولة وكان الجميع مشغولين أو نياما أخذ أخاه الأصغر ودخل مخزن

الحبوب، كانت دارا قديمة ملاصقة للبيت الكبير، وهناك تقف أكياس القطن متجاورة معدة للبيع، وفي مكان جوارها أجولة مليئة بحبوب القمح والذرة، عندما لفت نظره رصة من بلاط الأرضيات موضوعة فوق بعضها، فأخذوا يلهون ينقلونها إلي الجدار ليتسع المكان، وظهرت حشرات سوداء صغيرة تسكن بين البلاطات، وبواسطة قطع من البلاط المكسورة أتي عليها وقتلها كلها، وكل مرة ينقل البلاط يجد الحجم يكبر، وتكون الحشرات أقل عددا، ويزداد نشاطها عندما يرفع البلاط فيقتلها، وعندما انتهى من قتلها جميعا كان عددها"دستتين" من العقارب السوداء، نجا منها جميعا، وتجازى بالحرمان من الخروج ليلا مع الرفاق عقابا له على شقاوته.

عندما حصل على الحرباء من فوق شجرة السنط كانت لعبته لباقى اليوم، يغطيها بالأقمشة الملونة ويرى تغير لونها فرحا بالاكتشاف، ثم أطلق سراحها فوق الشجرة قبل المغرب، وعندما غرس عصا الفرن الحديدية فى الأرض الطرية إلى جوار مضخة الماء وسط الدار ليزرع نواة البلح آملا أن تكون نخلة فى العام القادم، حذره جده الذى يراقبه من بعيد، أن العصا سوف تدخل في قدمه المرة التالية وكما كان الجد يتوقع، انغرست العصا فعلاً في قدمه لتنزف بشدة، ويحرم بعد ذلك لأيام من الحركة والشقاوة.

كان يحلو له زيارة أقاربه، يخصص يوما لكل عم أو عمة يقضيه كله معه يصاحبه أخوته، ويسعد بالاهتمام الذي يلقاه والحب الذي يتدفق صافيا من نفوس نقية تقية، ويسعد أكثر في الليل عندما يتجمع صبيان الأقارب والجيران، يحكون ويلعبون في ضوء القمر حول البيت الكبير والدوار، لينام بعد منتصف الليل لا يشعر بشيء تماما حتي يوقظوه في الصباح ليفطر ويواصل لهوه. كانت متعته الكبرى عندما يرافق عمه في جولاته عبر الأرض المزروعة بالقطن والحبوب يشرح له ما يراه، وهو يشد مقود الفرس أو الركوبة كما يسمونها، حمدان الذي يكبره بسنوات ابن البدرى خفير الري الذي يرافقهم دائما، يحلو له أن يمارس سلطته هو الآخر، فيطلب منه زيادة المياه في نوبة الري القادمة في ترعة الخميس التي تمر في أرضهم، ويجيب الخفير طائعا مداعبا، فهو ابن البيه الكبير، بينما حمدان ينظر إليه في حنق وحسد وغيرة ولا يفهم نظراته.

مرت أيام الطفولة هانئة ، وجد بعدها المدرسة الثانوية تحتويه بمجموعات الكتب والعلوم التي لا نهاية لها، وتخلي عن منافسة سيد البسيونى لينافس الآخرين الذي فاقوه، واكتفي أن يكون من المجموعة الأولي لا يتعدي ترتيبه العاشر في فصله، وحصل علي الثانوية واستطاع أن يحتفظ بصداقات زملاء المدرسة فترة طويلة، بعد أن جمعتهم حجرات الدراسة والشقاوة في الفسحة وآخر النهار، وتعلموا من بعضهم التدخين ومعاكسة الفتيات، والقفز من فوق سور المدرسة في بعض المرات، إلا أن ذلك كله لم يبعده كثيرا عن دراسته، ليجد نفسه مرة أخري في طابور الجامعة، ولم يتوقف أبدا في دراسته طوال

السنوات حتي تخرج، ودخل مرحلة الشباب صغيرا فقد حصل علي البكالوريوس وعمره تجاوز التاسعة عشرة بشهور، وحصل علي مرتب محترم، اثنين وعشرين جنيها، وجدها أكثر من عدد سنوات عمره فادخر منها قليلا. تمر السنوات ينطلق فيها مع الأصدقاء يمارسون عملهم ولهوهم معتدلين في كل شيء، وإن شذ أحدهم تجنبوه أو أجبروه علي الاستقامة فلم ينحرفوا كثيرا.

ألحت أم ذهني أن يتزوج، حتي قالت يوما إنه قارب أن يبور، سأل نفسه ساعتها لماذا لم يتزوج فعلا؟ ووجد أنه يبحث عمن تكون مثل أمه، إنه يراها عظيمة دائما، وتذكرها عندما تنظر مرة واحدة راضية ليستمر فيما يفعله، أو الأخري التي تعني إياك أن تفعلها، علمته الخطأ والصواب والحلال والحرام، وزرعت فيه الثقة بالنفس والاعتزاز بالكرامة، وكيف يتعلم من أخيه الأكبر ثم يعلم الصغار، حتي وجد أنه يعتمد علي نفسه في كل الأشياء، وكان الأب يسافر كثيرا، فكانت كل شيء لديه ولم يرها مرة باكية أو حزينة أو تشكو هماً لإنسان، بل كانت السيدة الصابرة القوية، متزنة في ما يراه منها، ورآها تعتز بوالدها وعلمه وأستاذيته، فاستطاعت أن تجعل لأبيهم مكانته عند الأولاد يحبونه ويتجنبون إغضابه، ثم يتنفس الصعداء عندما لا تخبر أباه عن أخطائه فلا يعاودها ثانية. أمه في عينيه المثل الأعلي لكل الصفات والتصرفات، مدبرة حكيمة صادقة، ورأي صبرها عندما تراجع دروسهم من الابتدائية حتي الجامعة هو وأخوته، حتي إنها مؤخرا كانت تصحح الكلمات في رسالة الماجستير لأخته باللغة الإنجليزية، وتعلمها لأحفادها بهدوء وطول بال تحسد عليه، ومن المهم جدا أن تحكي لهم جانبا من أيامها في المدرسة الثانوية، أيام كان تعليم البنات نادرا، وكيف أنها توقفت عن الدراسة في الجامعة بسبب زواجها، ثم تضحك عندما تعاير أولادها بأنهم نسوا ما علمتهم إياه وهم صغار ومازالت هي تذكر، ، فإن ذاكرتها قوية، وأن أيام زمان كان التعليم أفضل، ثم تحكي ثانية عن مدرسة البنات.

بعد أن تزوج الأخ الأكبر كان عليه الدور أن يفعلها، وظل يبحث ويبحثون حتي بلغ الثلاثين فتزوج وأنجب وكبر الأولاد، وكبر هو الآخر يلتقي مع رفاق الطفولة والشباب والزملاء، ويري الزمن فيهم وفي نفسه، ويحمد الله علي ما هو فيه، واستقام يراعي ربه في أعماله وأولاده وزوجته، ويعيش حياته في هدوء.

خلال عمره عواصف هاجمته ومواقف أربكته ورؤساء متزمتون ظلموه، وزملاء متسلقون تخطوه، وطماعون استولوا علي بعض ماله، وتمسك بالحق والدين، وينصره الله بعد أن يختبره ويجده صامدا، فيبتليه مرة بعد أخري، ليقف صلبا حامدا شاكرا علي نعم الله، يراقب الحياة والرجال حوله، يأخذ الدروس ويعتبر ثم يختفي أحدهم، ويقرأ سطورا في صفحات الوفيات بالصحف، ليكون بعد المغرب في السرادق يقدم تعازيه، لقد تقدم السن والطابور يسير، فمن سنوات كان يلهو في القرية أيام الصيف ثم علي شاطئ البحر، ثم في

النادي مع الأصدقاء، كل أيام العمل جادة لابد أن يستريح، لقد مات الجد والجدة، ولحقهم العم والعمات، ثم خال وآخر، وأصبح من كبار رجال العائلة، وعندما يزور القرية يراهم يظهرون له الاحترام، وإن كانت المظاهر تغيرت، فإنه لم يستطع أن يصل أبدا إلي مكانة والده، فمل أن يزورها بعد أن اختفي من مسرحها من كان يحبهم من أقاربه، أما أقرانه فقد توزعوا في أنحاء البلاد وأصبح نادرا ما يلقي أحدهم لوقت قليل ثم يتفرقون ثانية.

جلسة طويلة كانت مع نفسه، قلب فيها أوراقا قديمة، ورأي أن كل شيء كان جميلا فعلا، وأنه مازالت هناك بقية، والآن أشياء أخري تسعده وترضيه، ووجد أن الله قد من عليه بكل ما تطلع إليه، وأفاض له من الرزق مالا يحتسب، فلديه ما يكفيه ومشاكله تنحسر عنه يوما بعد الآخر، ويري المستقبل مشرقا له ولأولاده من بعده، رغم غيوم يراها هو مؤقتة وستزول، متفائل دائما وراض عما قسمه الله له.

صدفة جمعت ذهني بحمدان ابن البدري، بعد سنوات كثيرة عبر فيها الخمسين، ودارت عجلة الذكريات في عقله، وتذكر أياما بعيدة كان فيها يظهر الولاء والطاعة، طامعا في إكرامية من البيه الكبير، بعد أن بذل مجهودا عندما كان يطوف مع البيه الصغير حول أرضهم، وحمدان يدور حول الحصان، يحاول أن يشاكسه حسدا وغيرة، وابتسم، الآن بعد أربعين عاما، وقف أمام ابن خفير الري ليجده لا يجاوبه الابتسام، وجده متحفزا كمن يريد أن ينتقم لأيام هوان أبيه ، رآها هو هكذا، يريد أن يقتص، عندما رأي ذلك نظر إليه وانصرف، وكاد الرجل ينشق غيظا فهذا تكبر آخر يلقاه، قال ذهني فلينضم إلي قافلة كلها من الحاقدين والنادمين أيضا.

ابنه الأصغر، كان يسمع حكايات والده عن القرية، والتي أصبحت تراثا قديما قد يحلو أن يسأل عنها، أما ابنته فلا تتصور القرية ولا الفلاحين، ولا تحس بمعاناتهم ولا تعرف كيف ينمو الحب في باطن الأرض لتحصل علي الطعام والملابس، ولا تتصور أن تلمس حيوانا أو طائرا، فقط تراه في الحديقة أو في التليفزيون أو قطعة لحم في طبق علي المائدة، ولا يتعجب ذهني، يعرف أنه لم يصاحبهم في رحلاته إلي القرية وهم صغار، فلم يكن لهم أقران هناك ليرتبطوا مثله من البداية، هو نفسه أهمل زيارة القرية من وقت بعيد حتي قابل ابن الخفير فتذكر.

الذكريات امتزجت فيها الطفولة بالشباب في الريف والمدينة، تعلم من رجال الريف الشهامة والمروءة والرجولة، وأيضا كلمة الشرف، وتعلم من المدينة كل ما يتعلمه الناس منها، واختار صفاته بنفسه، وتمني دائما لو كان عاش في القرية عمره الذي قارب أن ينتهي، لكنه غير نادم أنه كان بعد ذلك من أبناء المدينة.

عندما توفي والده ، فوجئ بقوافل العربات التي حضرت مشحونة بالرجال من القرية يقدمون واجب العزاء، وأخذوه وأخوته في اليوم التالي معهم، ليستمر العزاء لثلاث ليال أخر في الدوار، استقبل فيها أهل القرية كلهم، وبعد السنوات سوف يموت هو أيضا، تري هل سيعلم أهل القرية بموته؟ إنه لا يعتقد ذلك، ولن يغير ذلك من الأمر شيئا، إن علموا أو لم يعلموا، فإنه فقط يقارن الأمس واليوم.

* * *

هذا التليفون مزعج، لم تتوقف الدقات الخافتة التي تصدر عنه عندما تتلامس الأسلاك، وتعجبت، ألا تكفيني المعاكسات الكثيرة حتي تأتيني زيادة عليها هذه الرنات، كانت الرنات قصيرة، دائما واحدة أو اثنتين، ثم زادت وأصبحت مجموعات من الرنات، ولكنها لا تشبه جرس التليفون، هي أشبه بأصوات مطرقة صغيرة علي جرس، أحضرت المفك وفتحت التليفون لعلي أري أحد الأسلاك مفكوكا أو مقطوعا، ولم أجد شيئا معطلا، وعندما حاولت طلب بعض الأصدقاء بالتليفون فشلت بسبب تلك الرنات القصيرة، وتركت التليفون يرن إلي جواري كيفما شاء حتي مللت فرفعت السماعة ونمت، الغريب أنه في اليوم التالي في نفس الموعد، استأنف التليفون رناته مرة أخري كمن اغتاظ أننا نجلس في هدوء، وكنت أنا وزوجتي وابني في غرفة، وابنتي في الغرفة المقابلة تستعد للنوم متأففة من الرنات المزعجة.

ابني مرح وشقي، استطاع أن يتلقي رنات التليفون، وتخيل أنها دقات موسيقية، وقام بالنقر بأصابعه فوق التليفون، وللعجب أن التليفون استجاب فورا لدقات ابني، وردد النغمة تماما، وانفجرنا في الضحك، وظللنا علي حالنا، ابني يدق بأصابعه ويردد دقاته التليفون، كدنا نغيب عن الوعي من شدة الضحك عندما استبدل نقراته فوق جهاز التليفون بالتصفيق علي نغمات فلكلورية معروفة فرددها جرس التليفون، ثم استبدل التصفيق بفرقعة الأصابع، واستمر التليفون علي حاله كأنه صدي الفرقعة والتصفيق ونحن لا نصدق ما يحدث أمامنا .

تلاحقت أنفاس صديقي وهو يحكي، وبدا كمن رأي شبحا، وظهرت قطرات العرق فوق جبهته رغم أننا في الشتاء ، تنبهت لذلك كله عندما توقف ليتلقط أنفاسه، عندما حاولت استدراجه ليكمل حديثه قال: إنه يعلم أني أكتب، ولذا لن يكمل لأن في ذلك خطراً عليه، ووعدني أن يستأذن أولا ثم يعود ليكمل، وانصرف دون كلمة واحدة كأنما هو مسير ، وتركني أقاسي تفسيرات ما حدث بافتراض أني أصدقه، وعندما لم أستوعب قررت أن يكون صديقي مازحا.

* * *

في اليوم التالي حضر صديقي فجأة علي غير موعد، وجلس يتكلم

يكمل حديث الأمس كأنما شريط تسجيل يدور ليفرغ ما بداخله أمامي قال: إنه استأذن أن يفرغ سره عندي لأنه لا يتحمل أن يظل حبيس صدره وحده، له شرط عندما أكتب عنه ما يقول، أن أشير إليه بكلمة إنسان ولا أكتب اسمه أو أشير إلي سكنه أو عمله أو أية معلومة تدل للوصول إليه، ووجدت ذلك سهلا في البداية، ثم صعب علي أن أحفظ سره، وقررت أن أكتب حكاية إنسان، ووافق وبدأ يكمل حديث الأمس العجيب، ومصدق وغير مصدق أنا فذلك غير مهم، وسجلت.

* * *

ابنه عندما بدأت الرنات منغومة مرة بعد الأخرى تكرارا لما يفعله قال منفعلا، لابد أن هناك روحا تلبس التليفون وتلعب بأجراسه، قال: لو كنت روحا دقي دقة واحدة، وغير ذلك أطلب أن أسمع دقتين، وللعجب دق الجرس مرتين، ابنه قال: جن مثلا، رنة واحدة تعني نعم، وكانت المفاجأة لهم جميعا، ثم كان السؤال وسيل من الأسئلة.

- جن مؤمن أو كافر (رنة واحدة تعني مؤمن).
- رنة واحدة فعلا.
- جن أو جنية.
- جنية.
- هل أنت متزوجة؟
- لا .. (دقتان).
- ما عمرك؟ وأسئلة للموافقة علي السن الذي خمنوه، وبدأوا من عام ثم عشرة وعشرين فكان عمرها ستين عاما، وكانت الأسئلة موجهة من إنسان وزوجته وابنه، ولا يهم كثيرا من الذي سأل هذه الأسئلة بقدر الإجابات التي حصلوا عليها.
- هل أتيت للضرر أو للنفع؟
- رنة واحدة تعني نعم، وأكدت للنفع.
- هل أنت قادرة علي أن تضرينا؟
- رنتان تعني لا ، وأكدت النفي.
- هل تساعديننا ؟
- نعم.
- هل أتيت من أجل إنسان (اسم صديقي)؟
- لا.
- هل أتيت من أجل زوجة إنسان؟
- لا.
- هل أتيت من أجل ابنة إنسان؟
- لا.

- هل أتيت من أجل ابن إنسان؟
- نعم.
- هل ستبقين معنا طويلا؟
- نعم.
- من أين أتيت ؟
- رنات كثيرة غير مفهومة واقترح إنسان أن يكتب الحروف الأبجدية علي ورقة ويقرأ الحروف وعندما يصل إلي الحرف الصحيح ترن رنة واحدة، فوافقت.
- من السماء (م ن ال س م ا)
وهكذا كانت رسالة منها في كل مرة، عندما تملي الحروف لتكون الكلمات والجمل القصيرة حرفا بعد الآخر.
- ما اسمك ؟
- قلوب (ق ل و ب).
- هل أتيت من الجنة أم النار؟
- من الجنة.
- صفي لنا الجنة.
- دقات كثيرة بمعني أنها ترفض الحديث.
- هل تأكلين؟
- نعم.
- هل تأكلين أنواعا أخري غير التي نأكلها؟
- لا
- أين تجلسين الآن ؟ وحدد لها ابن إنسان الجهات في الحجرة وظهر أنها تحوم طائرة فوق السرير الذي يجلسون عليه وأنها تتجول في أرجاء المنزل كله.
- هل تسكنين هذه الحجرة فقط ؟
- نعم.
- هل تدخلين إلي الشرفة ؟
- نعم.
- هل تدخلين إلي الحمام؟
- لا.
- هل يمكن تخمين المستقبل معك ؟
- لا .
- هل يمكنك أن تأتي إلينا بنقود ؟
- لا .
- هل إنسان صالح ؟
- (لا إجابة).
- هل زوجة إنسان صالحة ؟
- نعم.

- هل ابن إنسان صالح ؟
- نعم.
- هل تصلين معنا ؟
- نعم.
- هل تقرأين القرآن معنا ؟
- نعم.
- هل تريدين منا أن نتوضأ ؟
- نعم، (فقاموا وتوضأوا جميعا).
- هل تريدين أن نصلي الآن ؟
- نعم، (وصلوا جميعا ثم عادوا).
- هل يمكنك معرفة الماضي؟
- نعم.
- هل ستبقين معنا طويلا مثلا حتي نهاية العام الدراسي؟
- نعم.

هنا صاح ابن إنسان "بس كده" متعلقا بها أن تستمر معهم أكثر، ثم قام إنسان عندئذ باختبارها، وسألها إن كانت تستطيع عد النقود في محفظته، وبدأ العد، ومحفظته إلي جواره في درج مغلق، واستقر العد عند الرقم ثمانية وثلاثين جنيهاً، وكان العدد صحيحا، ثم سألها إنسان عمن زاره في عمله اليوم، فحددت أنه زاره رجل وامرأة، وسألها عن عدد عماله الحاضرين في ذلك اليوم، وأجابت بأنهم ثلاثة ، وسألها عن عملائه، فقالت إنه تردد عليك اليوم ثمانية عشر عميلا، بالإضافة إلي عميل آخر (قريبه) لم تحسبه ضمن العدد، وكان ذلك صحيحا تماما.

- هل أنت سعيدة بالمناقشة؟
- نعم.
- هل تضايقك رائحة السجائر؟
- لا.
- هل دخلت المنزل قبل اليوم؟
- نعم أمس فقط .
- متي ستأتين ثانية إلينا؟
- غدا.
- والساعة التي ستحضرين فيها؟
- التاسعة مساء.
- والحالة التي نكون عليها؟
- ذلك غير هام عندي.
- هل تقبلين وجود أشخاص أغراب؟
- لا .. لا .. لا.

- هل يمكنك القراءة من ورقة في يدي؟
- لا.
- هل توجد طريقة أخري للتحدث معك.
- لا .. رنات التليفون فقط .
- لماذا اخترت هذه الأسرة بالذات؟
- أحبكم .
- هل نستطيع مشورتك في أمورنا؟
- نعم.
- يمكنك قراءة أفكاري دون أن أتكلم أليس كذلك ؟
- لا .. لا .. لا.
- هل تعرفين أقاربنا أو الأشخاص الذين نعاملهم؟
- نعم كلهم.
- نستأذنك أن نسجل علي جهاز ما يحدث؟
- لا .. لا .. لا .
- نطمع في مساعدتك لابني في مذاكرته؟
- سأحاول ذلك.
- هل المنزل مسكون بالأرواح؟
- لا .. لا ..
- هل المنزل به جن آخرون غيرك ؟
- نعم.
- مؤمنون أم كافرون ؟
- المؤمنون أكثر.
- هل تطلبين أن نفعل شيئا من أجلك ؟
- صمت ولا إجابة رغم الإلحاح.
- هل يمكنك أن تؤذي شخصا ما ؟
- نعم.
- هل أديت فريضة الحج؟
- نعم.. ثلاث مرات.
- وكم مرة أديت العمرة ؟
- مرات كثيرة لا يمكن عدها.
- عندي مشوار هام الليلة الساعة الثامنة مساء.
- لا تذهب (وعندما ذهبت لم تتحقق الفائدة، ولابد أن أكرره ثانية)
- هل تفهمين الإنجليزية؟
- نعم ،وحادثناها ببعض الكلمات، وردت بكفاءة كاملة.
- هل ترينا الآن ؟
- نعم.
- هل تفهمين إشارة من يدي؟

- نعم ولا أريد التفاهم بهذه الطريقة.
- هل تنامين؟
- أبدا.. لا صباحا ولا مساء.
- هل لديك مكان دائم للاستقرار ؟
- السماء.
- كيف تهبطين إلينا؟
- هذا سهل جدا وأهبط كلما أحب.
- أين تكونين عندما تتركيننا؟
- في السماء غالبا.
- هل يمكنك الاتصال بأرواح الموتى؟
- نعم.
- والحصول علي إجابات لأسئلتنا؟
- بسهولة .
- اسألي والدي عن رضاه عني؟
- (مرت لحظة) هو راض عنك وعن اخوتك وأمك عدا واحد منهم ولن أحدده لك.
- أريد أن أراك تحركين شيئا من مكانه ؟
- لا أريد فعل ذلك.
- من فضلك افتحي مفتاح النور؟
- لن أفعل (استمرت تدق دقتين تعلن رفضها).
- هل توصل رسالة مني إلي أخي في أمريكا؟
- لن أفعل.
- هل تدليننا علي طريق للسعادة ؟
- لا .
- هل تسمعين وأنت بعيدة عندما أناديك؟
- نعم.

دق جرس التليفون عدة مرات، وكانت كلها معاكسات لا يرد فيها أحد علي إنسان عندما يرفع السماعة، فسأل الحاجة قلوب عمن يكون هذا الشخص الذي يفعل ذلك، فطلبت إليه أن يكتب وكانت الرسالة .

- "جنية كافرة اسمها (أزط) عمرها ٢٥٠٠ سنة ولا يمكن منعها واكتفي بقراءة سورة الناس".
- رسالة أخري "احذر الفحشاء، صلي".
- رسالة "ابتعد عن السجائر".
- رسالة "بحبكو كلكو" (هكذا أملت).
- رسالة "جنة الله منتظرة المصلين"..

فاعمل.

- ما هو حجم جسمك؟

- كبير جدا، يصل ما بين السماء والأرض.
- هل أنت جميلة؟
- نعم وأتمني لو كنت حورية من حوريات الجنة.
- متي ولدت؟
- في عهد نوح وخدمت النبي سليمان وحضرت بناء الكعبة وأؤمن بكل الأنبياء
.
- هل رأيتني وأنا أحج ؟
- نعم وكان معك أمك وإخوتك وأختك وابن خالك، وحددتهم بالاسم جميعا.
- رسالة "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون".
- أين صليت اليوم ؟
- صليت العصر عند الكعبة والمغرب في الأقصى.
- هل ترين ذراعي؟ وكشف إنسان عن ورم في ذراعه، وسألها أن تساعده في العلاج.
- أجابت لا ، وتحتاج إلي عملية بسيطة تؤلم قليلا.
- ابني سوف يخرج الآن، هل ستكونين معه؟
- نعم.
- وهل ستكونين معنا أيضا ؟
- نعم.
- تعجب إنسان، قال : معا في مكانين بعيدين وأنت مع كل منا!!
- نعم هذا طبيعي وسهل.
- هل ستكلمينا في هذه الحالة؟
- لا .
- هل يمكن أن تتصلي بنا في مكان آخر غير منزلنا علي تليفون العمل أو عند صديق؟
- لا .

* * *

- في اليوم التالي كانت رسالة.. "أري نورا ساطعا"
قال إنسان للحاجة قلوب لقد جهزت بعض الأسئلة وأطمع في الإجابة، وسألها إذا ما كانت تتضايق من الأسئلة الكثيرة ؟
- أعلم أنك جهزت الأسئلة، ولن أتضايق منها.
- هل ذهبت إلي القطب الشمالي.
- نعم.
- وما درجة الحرارة هناك الآن؟
- ٣٥ درجة تحت الصفر.
- ما درجة الحرارة في الكونغو؟

- ٤٣ درجة.
- ما عمرك بالضبط ؟
- عمري ستون سنة بحساب سنوات الجن والعمر يمتد حتي ١٠٠ ، وفوق ٢٠٠ سنة نعتبره كبيرا وكل سنة عندنا تعادل ١٠٠٠ سنة عندكم في حساب البشر.
- ما اسم أمك ؟
- اسمها فوحاح بمعني الشرح أو البيان.
- هل لك إخوة ؟
- نعم وكلنا عشر بنات وذكور وأنا الثانية بينهم.
- رسالة "اجتهد يا مؤمن".. الرسالة موجهة إلي إنسان.
"وادفع بالتي هي أحسن، افهم".
- قلت إنك جميلة، هل لك عيون ؟
- نعم.
- عيناك اثنتان أليس كذلك ؟
- بل أكثر، ولم تحدد العدد.
- رسالة "أحمد الله، لا اله إلا الله".
- هل لك أنف؟
- نعم.
- هل لك فم؟
- نعم.
- هل لديك أذن؟
- نعم.
- هل لك شعر ؟
- نعم.
- هل يمكنك الدخول إلي الحجرة بكل جسمك؟
- نعم.
- أين ابنتي الآن ؟
- في الإسماعيلية.
- ماذا تفعل الآن ؟
- هي هناك بخير .
وعندما ألح إنسان بالسؤال .
- ردت : "أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه".
- هل هي بخير وتتصرف جيدا؟
- نعم. واطمئن .
- أنا أحفظ جزءاً صغيراً من القرآن وأنت ؟
- القرآن كله.
رسالة .. "لك عقل يا مؤمن".

- أي المخلوقات أحب إليك.
- الملائكة والجن المؤمن والناس المؤمنون والطير آكلة الحبوب.
- لماذا عندما تغضبين لا تردين علينا.
- لا إجابة .
- لماذا تصممين علي أن تكون النوافذ مفتوحة؟
- أحب ذلك.
- هل يمكنك الإمساك بالقلم والكتابة؟
- نعم.
- هل يمكنك دخول الشقة المجاورة؟
- لا .. فيها كلب.
رسالة.. "أري نورا ساطعا".. تقصد ابن إنسان.
"النور يبهرنا".
- لقد بدأت أغير من ابني.
- رسالة.. "لا تحسد".
- هل حضرت الزلزال بمصر؟
- نعم وأراه غير مزعج.
- أين الجن المؤمن؟
- بعضهم في الجنة والباقي بين السماء والأرض.
- أين الجن الكافر ؟
- بعضهم في النار والباقي بين السماء والأرض.
- هل يمكن وجود الجن المؤمن في باطن الأرض وهي كالنار؟
- نعم، وجودنا هناك طبيعي.
- هل يمكن أن يتراءى الجن للإنسان؟
- نعم.
- هل يمكن أن يخاف الجن من الإنسان؟
- ولكن ليس من كل إنسان، يخاف الجن ممن هم في مرتبة النبوة فقط .
- هل يخاف الإنسان العادي عندما يراك ؟
- نعم.
- هل سبق أن رآك إنسان؟
- نعم ومات.. كان أجله هكذا، عندما يراني يموت.
- هل تحبين أن تظهري للبشر؟
- لا .. هذا ليس واردا في طبيعتي.
- والشخص الذي رآك قبلا؟
- كنت مأمورة أن أظهر له.
- لو طلبت منك الظهور لشخص ما، هل تفعلين ؟
- نعم.
- هل سيحس بالرعب والخوف عندئذ؟

- نعم.
- هل يمكنك المرور خلال الكرة الأرضية من جانب لآخر ؟
- نعم بالتأكيد.
- هل تحسين بالثلج، أو تؤثر فيك ثلوج الشمال والجنوب؟
- لا .
- هل تتنفسين؟
- لا إجابة.

- هل تستريحين أثناء اليوم مادمت لا تنامين لا صباحا ولا مساء؟
- نعم.

رسالة .. الصلاة (عندما حان وقت صلاة العصر).

* * *

عندما سألت صديقي الإنسان عن كل هذه الأسئلة، قال: إنه بعد انصراف الحاجة قلوب في المرة الأولي وجد أن لديهم أسئلة كثيرة جدا، وكان لابد أن يكتبها حتي لا ينساها، وطلب منها أن يدون الإجابات، وقالت له : اكتب ما تشاء، ولا تشير للأسماء وأن يكتب اسمها قلوب وتسمح له أن يناديها ويكتب اسمها الحاجة قلوب، وأيضا سمحت أن يبوح لى بسره وأن أكتب عنها ما أريد بشرط أن أتوخى الصدق.

* * *

- قلت أنك مولودة منذ ستين عاما .. إذا عندكم ولادة؟
- نعم.
- ولديكم الموت أيضا
- نعم.
- يعيش الإنسان المعمر من ١٠٠-١٢٥ سنة. ما متوسط العمر عندكم؟
- ١٧٥ سنة من سنوات الجن.
- ما هو سن الزواج لديكم؟
- سنتان.
- هل يمكن أن أسأل عن طقوس الزواج عندكم؟
- لا إجابة.
- هل كلمة الحب عندكم لها تفسير غير كلمة الحب عندنا؟
- لا إجابة .. وعندما قال لها إنسان كلمة الود وافقت.
- ما لغة الجن فى التخاطب؟
- لغة خاصة.

- فهمت منا الإنجليزية، هل هناك لغة أخري مثل الفرنسية واليابانية هل تفهمينها ؟
- من المؤكد ذلك.
- هل يمكنك معرفة حاصل جمع ٣ + ٤ ؟
- دقت سبع دقات.
- هل يمكنك أداء عمليات حسابية أكثر ؟
- نعم وأسرع من الآلة الحاسبة التي لديك.
- هل يمكنك أداء معادلات كيمائية؟
- لا .
- وحل المسائل الهندسية ؟
- نعم بعض فروعها فقط .
- الفنون مثل الرسم والنحت والتصوير هل لديكم مثلها ؟
- نعم.
- نحن نطهو الطعام لحم وخضراوات لنأكلها وأنتم كيف تحصلون علي طعامكم؟
- منكم .
- هل تجهزون لأنفسكم أي طعام؟
- لا نجهز الطعام مثلكم.
- ما الطعام المفضل لكم؟
- اللحوم والطيور والخضروات والفاكهة والأسماك.
- هل يلعب الأطفال عندكم ؟
- نعم مع بعضهم ومع أمهاتهم.
- كيف ينشأ الصغير في دنياكم؟
- خلال العائلة مثلكم.
- كيف يتعلم ؟
- أبوه وأمه مسئولان عن تعليمه، والله يعلمه.
- هل لديك عمل تؤدينه خلاف العبادة؟
- الوقت كله للعبادة، ثم أساعد المؤمنين.
- هل هناك مشاكل بين الجن ؟
- الجن المؤمن ليس بينهم مشاكل.
- قد يقتل الإنسان أو يقتل هل يحدث ذلك عندكم ؟
- الجن المؤمن ليس بينهم مشاكل.
- هل لكم كبير أو زعيم ، قائد، رئيس تسمعون أوامره وتسيرون خلفه؟
- نعم.. الله ورسوله.
- هل تمارسون المشاعر الإنسانية مثلنا ؟
- نعم وبطريقة أرقي.
- هل لك بيت تعيشين فيه؟
- لا.. أنا دائمة التنقل.

- هل تتزاورون معا؟
- هذا شيء طبيعي.
- كيف وليس لك مكان ثابت؟
- عندما يريدني أحدهم يأتي إلي في أي مكان وهكذا أنا أفعل عندما أريد رؤية قريب أو صديق.
- يتعامل البشر بالنقود.. كيف تتبادلون الاحتياجات؟
- لا إجابة.
- هل تغضبين لو فصلت سلك التليفون بدون إذنك أثناء الحديث؟
- أغضب تماما.
- إذا غضبت مني كيف أجعلك تسامحيني.
- لا تفعل شيئا وسأسامحك وحدي.
- خرج ابن إنسان مع أصدقائه وبعد أن عاد أرسلت ؟
- لعن الله شارب... وصمتت كثيرا ولم تكمل كلماتها.
- سألها إنسان، هل شرب ولدي الخمر؟
- لا .
- هل شرب أصدقاؤه؟
- لا إجابة.
- هل المكان الذي ذهب إليه يقدم الخمور؟
- نعم.
- وهل تدخلين هذا المكان؟
- دخلت لأرعى ولدك.
- قال ابني إنه كاد أن يقع عندما كان يرقص هل سندته حتي لا يقع؟
.. هو قال : أحسست أن شخصا ما فعل ذلك، ولم يكن خلفه أحد.
- أنا فعلت ذلك.
- عندئذ لوى ابن إنسان الكلام ومزح كثيرا ثم قال: أنا لا أكل لحم الخنزير ولكن لا مانع لدي أن أكل "المورتديلا".
- أرسلت، "أتحلل ما حرم الله؟".
نام ابن إنسان وظلت الحاجة قلوب تحادث إنسان وزوجته فترة.
- سؤال أأرحل؟
- في لهفة أجاب إنسان وزوجته »لا فورا«.
- راحلة، أدمع من أجل ابنك.
ورجاها إنسان أن تبقي مادامت تحبه؟
- رسالة، أري نورا ساطعا، تقصد أن ابن إنسان قلبه أبيض، رقيق الإحساس.
- سأل إنسان هل يحكي لابنته ما يحدث؟
- لا ، إنها سوف تخاف.
- إذن لماذا ابني فقط ؟
- هو طيب وأحبه كابني.

- عندما نظر إنسان في الساعة كانت عشر دقائق بعد منتصف الليل.
- رسالة، (نام بقه) هكذا أملت.

* * *

في صباح اليوم التالي وكان الخامس للحاجة قلوب معهم أرسلت..
- صباح الخير.
- أري نورا ساطعا حقيقيا ليس كناية (الرسالة إلي ابن إنسان)
- ألا تري النور.
- النور يخترق عيني بشدة.
- صلِّ..
- كيف ستقضين يومك ؟
- بعد العبادة سوف أساعد بعض المؤمنين.
- رسالة، "الله، أخي مات. أذرف الدمع، هو الله لا يموت. أتقرأ الفاتحة من أجله؟".

عندئذ قرأ إنسان الفاتحة، وطلب تأجيل اللقاء لبعد الظهر عندما يعود من عمله، فوافقت وأرسلت رنات التليفون (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وكانت هذه عادتها كلما انصرفت، ثم حضرت في الثانية عشرة بعد الظهر لأن إنسان لم يذهب إلي العمل لظرف طارئ وكان يستعد للخروج عندما حضرت الحاجة قلوب ثانية.
- رسالة، لا تخرج.
- أجاب إنسان طلبها وعزاها مرة ثانية وأستأذنها أن يواصل أسئلته ووافقت.
- هل أسألك عن مكان شيء مفقود ؟
- نعم.
- فقد مني عقد ملكية شقتي هل تدليني عليه؟
- شخص تعرفه كان قريبا منك أخذه خلسة وغدرا.
- أريد أن أسأل عن أحوال أخي المسافر؟
- نعم هو بخير وزوجته وأولاده ويعاني بعض المتاعب في عمله، وربما يتغلب عليها.
- هل تحسين شعور الخوف؟
- نعم.
- وما تخافين منه هل هو مجرد علي الأرض؟
- لا .
- أين صليت الظهر ؟
- معكم بالمنزل.
تداول إنسان الحديث مع زوجته أن يسأل الحاجة قلوب عن امرأة يعرفونها؟

- فأرسلت، إن بعض الظن إثم.
- (...) فلانة الطاهرة.
- "إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا".
- (...) ذكرت اسم سيدة أخري علي علاقة بالمرأة التي سأل عنها وقالت هي شيطان أخرس.
- لماذا غضبت زوجتك يا إنسان، وكررت السؤال وألحت.
- أعاني بعض المتاعب الصحية.
- الله هو الشافي.
- خلق الله الداء والدواء، هل تقدمين المساعدة؟
- أعرف متاعبك، هي بسيطة لا تحتاج.
- هل يمكنك مساعدتي في حل مسابقة الكلمات المتقاطعة؟
- لا .. لا .. لا..
- أعاني ضائقة مالية، هل ترشدينني إلي مخرج؟
- لا .. لا .. لا.
- يطلب ابني في التليفون صديقاته، هل أخلاقهم جيدة؟
- نعم.
- أنا قلق من هذه العلاقات.
- لا تشغل بالك، هو مؤدب اتركه واطمئن.
- هل لك أصدقاء آخرون من الإنس ؟
- لا إجابة.

كان ابن إنسان يمزح ويتلاعب ويهرب من الصلاة خلف أبيه بعدها أرسلت.
- مهرج.. الرازق هو الله.

* * *

تعب إنسان من المناقشة والاتصال، وطلب منها الانصراف فانصرفت، وغابت عنهم ثلاثة أيام ثم حضرت.
- رسالة حضرت من أجل أولادك.
- هل هناك ما توصي به من أجلهم ؟
- تستطيع أن تفعل أكثر.

ودار حديث بين إنسان وزوجته قال لابد أن أكون قويا في مواجهة الحاجة قلوب حتي لا تسيطر علي هكذا، وأثناء الحديث..
- رسالة.. "إذا تماديتم سأوذيكم".

"لا تطيق الأذى مني".
"لم ترونها من قبل".
"الدرس لن تنساه".
"بهذا الشكل سأوذيك".

" لا تقدر أن تضايقني".
وكانت كلماتها متتالية ظهرت كجمل منفصلة، كما لو كان حوارا، ساعتها قال إنسان أنه يريد أن يوضح وجهة نظره أثناء المناقشات، وأنه لا يريد مضايقتها أبدا، ولا يقدر أن يفعل ذلك مطلقا، وأنه يرحب بها دائما، وتراجع مذعورا عما انتواه لمواجهة الحاجة قلوب بصلابة أو بعناد، ولما رأته هكذا وافقت أن ترد علي أسئلته مرة أخري.

* * *

- هل يحدث مشاكل بين الجن الكافر وهل يضربون بعضهم؟
- نعم وتخيل !!
- هل يقتلون بعضهم ؟
- نعم.

فجأة دخلت ابنة إنسان وسمعت جزءاً من الحوار والرنات وتهكمت أنهم مازالوا يفعلون ذلك فقد أخبرها أخوها بما يحدث من يومين، وعندما تمالكت قليلا أعطت لنفسها الفرصة أن تتفهم، ثم بعد قليل بدت خائفة لدرجة أن بدنها اقشعر وتخوفت مما قد يحدث، والتصقت بأبيها وقالت : إن ما يحدث هو كفر حقيقي، وأنها سوف تسأل المفتي بالتليفون عما تراه، فصرحت لها الحاجة قلوب أن تفعل ذلك دون أن تشرك آخرين، فقط المفتي، عندها سألتها ابنة إنسان متوجسة :

- أحسست أمس بمن يشد شعرى أمام المرآة؟
- نعم كنت أنا وشددته ثلاث مرات.
- لماذا ؟
- كنت أمزح معك.
- لماذا حضرت إلينا؟
- أحبكم، لانتشلكم.
- أنا خائفة تماما؟
- اطمئني أنا مؤمنة.

وانصرفت الحاجة قلوب في تلك الليلة بعد أن ضمت ابنة إنسان إلي جانبها هي الأخرى، ثم في الصباح استمر إنسان.

- هل تعيشون في مجموعات.
- نعم.
- كيف تعالجون مرضاكم؟
- بالقرآن.
- هل تحسين أني أكذب عندما أفعل ذلك ؟
- نعم.. نعم.. نعم.
- متي ومن أي شيء تتضايقين ؟
- الإلحاح – عدم الطاعة – العناد.

- هل تخافين النيازك والشهب؟
- لا .. هي للشياطين فقط.
- هل ترين أن كلامي من هذا ليس مفيدا ؟
- مفيد لك.
- سوف أطلع صديقي علي أوراقي هذه.
- أوافق علي شروطي السابقة.
- هل تعرفين كيف أجعل ابني أكثر هدوءا؟
- صادقه.
- هل تحبين رائحة الزهور ؟
- نعم.
- هل تحبين شكل نافورات المياه ؟
- نعم.
- هل تحبين النسر أو الصقر أو البوم؟
- لا أحب الطيور آكلة اللحوم.
- والثعابين ؟
- لا أحبها.
- بعضهم قال إن الأفاعي من الجان يسمعون القرآن وإذا أمروهم بالانصراف من المكان فعلوا؟
- نعم في بعض الأحوال.
- ما أحب الألوان إليك؟
- الأخضر، وكلنا نحبه.
- ماذا تحبين في الأرض؟
- الجبال والوديان والبحر والأنهار.
- ما نصيحتك لأرتب أموري المالية ؟
- الصبر.
- عندنا بعضهم يقرأون الفنجان والكف والطالع؟
- لا أوافق علي كل ذلك.
- هل تفرحين بفرحنا مادمت تحبيننا؟
- نعم وأفرح بفرحكم جدا.
- وعندما نحزن؟
- أحزن من أجلكم.
- وبكاء الطفل الصغير؟
- يزعجني للغاية.
- وهل تزعجك الأصوات المفاجئة أو النيران ؟
- لا .
- عندي كتاب قديم للسحر.. هل تعلمين مكانه ؟
- هو في صندوق بأعلى المكتبة، تخلص منه.

– أعرف أن لي قريناً من الجن، هل ترينه ؟
– نعم.
– هل هو طيب مؤمن ؟
– نعم.
– وأنت قرينة من ؟
– لا إجابة.
– قلت : إنك تدورين في السماء، هل هناك حياة أخري في تلك الكواكب؟
– لا إجابة .
– هل ذهبت للشمس ؟
– مرات عديدة.
– ماذا تفعلين لو أني مارست الرذيلة ؟
– أغضب للغاية.
– هل ستقاطعينني؟
– لا .
– هل ستؤذينني؟
– سأنبهك فقط .
– هل يمكن أن أعرض عليك قضايا الاختلاف في العبادات والمعاملات ؟
– نعم.
– هل يمكنك تقديم فتوى دينية ؟
– نعم.
– حكوا في قريتنا عن عجوز ابتلعت دبوسا ولم يكن ممكنا إجراء عملية جراحية لها بسبب ضعفها الشديد، وفي الصباح حكت: أنه زارها في المنام ملائكة أو جان، وأجروا لها العملية، ولم يترك ذلك أثرا علي جسدها، ووجدوا الدبوس في قطعة من القطن أسفل الوسادة، وأجروا لها أشعة مرة ثانية وتأكدوا من صدق روايتها.. ما رأيك ؟
– الملائكة أجروها لها، والجن غير مصرح لهم بالمحاولة، والعجوز تلك كانت طاهرة والله راض عنها.
– هل يمكنك الاتصال بالملائكة؟
– نعم.
– هل يمكن أن تساعديني في إجراء العملية لذراعي يقوم بها الملائكة لو طلبت ذلك منهم؟
– سوف يرفضون.
– لماذا ؟
– إنهم مأمورون.
– أريد أن أري شيئا غير عادي، كرسي يتحرك مثلا ؟
– لا إجابة .
– لماذا تصرين ألا تفعلي شيئا ملموسا ؟

- لا إجابة.
- هل سينجح ابني في الامتحان ؟
- "إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا".. "وقل اعملوا فسيري الله عملكم.."
الصلاة..
حان موعد صلاة العصر فألقت الحاجة قلوب السلام كعادتها، (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وانصرفت.

* * *

سمعت كل كلام صديقي إنسان، وقرأت كل ما كتب واستوعبت كل انفعالاته وطمأنته، لكن هو نفسه طمأنني أكثر أن الأمور تسير في بيته كما يحبون كلهم، وأنه مازال يداوم الاتصال مع الحاجة قلوب، وأنها تحضر إليهم بانتظام، وتستمتع بالحديث ويستمتعون أيضا، وتشاركهم الطعام رغم أنه لا ينقص منه شيء كما قال، وربما كانت تأكل بالنظر عن بعد أو تتغذى برائحته، المهم أيا كانت طريقتها للمشاركة، فإنهم سعداء بها يستشيرونها في أمورهم العادية، وتحثهم علي الصلاة وتحدثهم بالقرآن كلما حاوروها، وتنتقد كل انحراف لأحدهم، وقالت لهم أنها تصلي خلفهم كلما تجمعوا لصلاة، حتي إن كانت قد صلت في الحرم المكي أو بالمسجد الأقصى قبلهم، ثم إنهم ينامون جميعا نوما هادئا حتي الصباح، وقد رأي الابن الأصغر وزوجة إنسان هالة من نور رقيق تطوف في سقف حجرات المنزل، تتحرك بلطف وتختفي، وكانت تظهر لهم قبل نومهم مباشرة، فلم ينزعجوا أبدا منها بل كانوا سعداء، وقالت الابنة إنها حلمت بها في ليلة سابقة، ووصفتها وحكت أنها طويلة للغاية تصل إلي السماء، وعريضة بعرض الصورة في عينيها، ولكنها مع ذلك جميلة وشعرها طويل، وتبدو علي وجهها الملامح الطيبة والسماحة والود، وعندما حاوروها في ذلك قالت : إنها شيء كهذا تقريبا، وعندما طلب منها إنسان أن تزوره هو أيضا في الحلم، أو علي الأقل أن يراها هالة من الضوء مثلهم، قالت : إنه سوف يراها قريبا. ووعدته بذلك.

* * *

ملامح صديقي أصبحت مريحة، غير متوترة بعد أن حكي وكتبت، وقرأت وفهمت، لكني كنت غير مصدق لما أري أو أسمع أو أقرأ، حتي تحمس أن يطلب من الحاجة قلوب أن تزورني لأتأكد مما قال، قلت لصديقي إنسان: إني أثق في حسن روايته وصدقها، واستأذن أن ينصرف لأموره وحياني باسما، قلت له: أري نورا ساطعا يا إنسان.

* * *

شادي الكلمات

أنا مخلوق أحس بالسعادة والألم، والقوة والضعف، والغني والفقر، أعرف طعم السكر والمرارة، أنام الليل وأسهر ، أحب وأكره، أجد الفرحة في بسمة طفل والشقاء في دمعة مقهور، رأيت العدل ولحقني الظلم، فررت من الثعالب لأقابل ذئابا، وطاردت فراشة لتلدغني عقرب، تذوقت الندم فأحسست النجاح وخيبة الأمل، عشت عمري أتردد بين ذلك في طريق علاماته السنين، فتعلمت الصبر ولومي لذاتي لعلها تقنع. ربما كان ذلك في إمكاني يوما، ويبدو أني إنسان مثل كل إنسان.

الكاتب

المحتويات

للكاتب

- سور القاهرة الوردي   مجموعة قصصية   الهيئة العامة للكتاب.
- رقصة الجنرال   مجموعة قصصية   مدبولى الصغير.
- اللعب بالديناميت   مجموعة قصصية (م) كتاب اليوم.
- أحلي ١٠ قصص   مجموعة قصصية (م) كتاب اليوم.
- أجنحة البوح   مجموعة قصصية (م) جماعة الجيل.
- ٥٠ قصة قصيرة   مجموعة قصصية (م) دار الجمهورية

تحت الطبع :

- كنوز شمائل.
- ليالي السمر في دوار الصاوى.

جوائز :

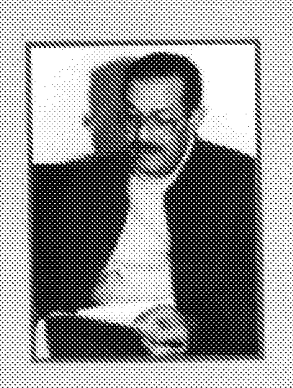
- القصة القصيرة – دار أخبار اليوم – ١٩٩٧.
- القصة القصيرة – المحاربين القدماء – ١٩٩٩.
- القصة القصيرة – القوات المسلحة – ٢٠٠١.

صدر من هذه السلسلة

١ – الأم الصغيرة وقصص أخري – الفائزون في مسابقة القصة القصيرة عام ١٩٩٨.
٢ – يوميات عروبة – د. هانى الرفاعى.
٣ – ماروه البحراوي – عبد الرحمن شلش .
٤ – أبناء نادي القصة – محمد محمود عبد الرازق.
٥ – زوجتي تريد أن تزوجني – فتحي سلامة .
٦ – الحي الراقي – فتحي مصطفي .
٧ – الياسمين يتفتح ليلا – عزت نجم.
٨ – حدائق السماء – محمد سليمان.
٩ – الفائزون بجوائز آخر القرن العشرين – الفائزون في مسابقة القصة القصيرة.
١٠ – دلوني علي السبيل – محمد الشريف.
١١ – الجدة حميدة – حسن الجوخ.
١٢ – فستان زفاف قديم – علي عيد .
١٣ – بحر الزين – حسن نور.
١٤ – من أوراق العمر – محمد كمال محمد.

١٥ – إحراج – نادية كيلاني.
١٦ – البنات – هدي جاد .
١٧ – عاد الأسد .. أسد نبيلا – عبد المنعم السلاب .
١٨ – عراف السيدة الأولي – محمد القصبي .
١٩ – حكايات عن العربيد – صلاح عبد السيد .
٢٠ – السلمانية – صلاح معاطي .
٢١ – الفائزون أول القرن الحادي والعشرين – الفائزون في مسابقة القصة القصيرة.
٢٢ – صبحي الجيار والمحنة المضيئة – مصطفي عبد الوهاب.
٢٣ – الرغبة الوحيدة – صوفي عبد الله.
٢٤ – الغزال في المصيدة – محمود البدوي.
٢٥ – خراط البنات – صفوت عبد المجيد.
٢٦ – القصة القصيرة عند ثروت أباظة وقضايا المجتمع– حسين عيد
٢٧ – حوار مع جنية – عصام الصاوى

<u>الإصدار القادم</u>
– ليلة موت – عبد الحميد الفداوى



المرأة وحدها محور هذه المجموعة الجديدة لحسام العساري، ويبدو أنه لم يقنع بحضورها القوي في مجموعاته السابقة فرأى أن يفرغ لها وحدها فقط. (هي) لغز كبير وستظل، لكن الكاتب يروي السيلمة في بحر المشاعر والأحاسيس العميقة المستبدة، الهادئة الصاخبة، الهابطة العالية، الوادعة الشرسة، القريبة البعيدة. مغامرة جديدة ممتعة للكاتب تكشف عن قدرته على فهم هذا الكائن الرقيق والدخول في تفاصيل عالمه الرهيف والتعبير عنه بأسلوب بسيط مشوق عرفناه به وألفناه منه.

د. فيصل الحفيان

جذيمان
شركة الأمل للطباعة